الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي – الأغواط –

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكـــــــــــرة مـاستـــــــــــــــر

تقديم الطالب : فتحي لكحل

ميدان: اللّغة والأدب العربي

شعبة : دراسات أدبية

تخصّص: أدب عربي قديم

الخطابة في العصر الإسلامي

الخطب المنبرية في عهد بني أمية " أنموذجا "

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة في اللجنة
أ.د. عطاءالله كريبع	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
د. عبد القادر بلغربي	أستاذ محاضر - أ -	مشرفا ومقررا
د. علي لخذاري	أستاذ مساعد – ب-	مناقشا

السنة الجامعية

1443/ 1444 هـ - 2022/2021م

بسم الله الرحمن الرحيم
كتبه ١٤١٧

إهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد أهدي هذا العمل المتواضع

إلى الوالدين الكريمين

وإلى الإخوة والأخوات

وإلى سائر العائلة الكريمة والأحبة والأصدقاء

وإلى كل من ربانا ومن علمنا ومن له حق علينا

وإلى كل من ساعد في إنجاح هذا العمل من أساتذة وزملاء وأصدقاء

وأخص بالذكر طاهر بوقرارة، محمد خليفي، مجمدميساوي

ومصطفى بن راشد ...

وإلى أعضاء النادي الأدبي وموظفي مكتبة دار الثقافة عبدالله بن كريو

وإلى كل من دعمنا ماديا ومعنويا .

فتيحة

تشكرات

الحمدلله رب العالمين

نشكر المولى العزيز القدير الذي وفقنا لإنجاز

هذا البحث راجين منه التوفيق و النجاح وأن يجعـــل

عملنـا هذا خالصا لوجهه الكريم إن شاء الله

"من باب من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور

" عبدالقادر بلغربي" الذي شرفنا بإشرافه على إنجاز هذا العمل

ومساعدتنا في تقديم الملاحظات والإرشـــادات فجزاه الله عنا خيـر الجـزاء.

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة كلية الآداب واللغات بالأغواط

على عطائهم الدائم في خدمة العلم.

وفي الأخير نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة على

قبولهم مناقشة عملنا المتواضع هذا.

فتحي

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله العلي العظيم ونستعينه، ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا. ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة العالمين سيدنا مُحَمَّد ﷺ أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، النبي الذي أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة وكشف عنها الغمة وجاهد في سبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

تعد الخطابة من التراث العربي النثري بمختلف أبعاده الفكرية والمعرفية التي لا تزال قابلة للحياة، وتفرض نفسها بثبات عبر سائر المناهج والنظريات والنوادي والأوقات، ما جعلها تكتسي أهمية بالغة في حقل الدراسات العلمية والنقدية الأكاديمية، فالخطابة فن مشافهة الجماهير والتأثير فيهم وإقناعهم بأسلوب حسن جميل يجعل لديهم القابلية والقبول من خلال توجيه الأفهام إلى المراد من القول بالمعقول والمنقول ولما كان ذلك كذلك جاء بحثنا وفقا لذلك موسوما بالخطابة في العصر الإسلامي ـ الخطب المنبرية في عهد بني أمية نموذجا ـ و كان اختيارنا للموضوع لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية، فأما الذاتية منها فتمثلت في: ميولي إلى الدراسات الأدبية الإسلامية، وتأثري بالخطابة العربية الإسلامية، أما الأسباب الموضوعية فبدت في: اختيار الأستاذ المشرف له، ومحاولة التعريف والتعرف على الخطابة الإسلامية خاصة المنبرية منها في عهد بني أمية، وإظهار دورها في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية في تلك الحقبة، إضافة إلى ما يتوفر عليه الموضوع من جمالية أدبية فنية وأسلوب راق جميل يجعل الباحث يندفع إلى دراسته والخوض فيه.

فكيف كانت الخطب المنبرية في عهد بني أمية؟ وكيف كانت أساليبها وموضوعاتها؟

وللإجابة عن هاته الإشكالية اتبعنا المنهج التاريخي وفقا للخطة الآتية: تمت هيكلة البحث إلى مقمة ومدخل تمهيدي وفصلين أولهما نظري والثاني تطبيقي ثم خاتمة.

فعرضت في المقدمة عناصرها من طبيعة الموضوع والتعريف به، وذكر أسباب اختياره والاشكالية والمنهج المتبع في ذلك عارضا خطة البحث والدراسة.

ففي المدخل ذكرت فن الخطابة والخطباء، الخطيب، الخطب المنبرية في عهد بني أمية.

أما الفصل الأول وهو الفصل النظري تناولت فيه أربعة مباحث: تمثلت في: تاريخ الخطابة وتطورها، بلاغة الخطابة، أسلوبها، موضوعاتها.

أما الفصل الثاني فكان فيه عرض وتحليل لبعض الخطب الأموية، خطبة لمعاوية، خطبة لزياد بن أبيه، خطبة لعمر بن عبد العزيز، خطبة لطارق بن زياد، خطبة للحجاج بن يوسف.

وعرضت في الخاتمة نتائج ذلك.

ومن أهم المصادر والمراجع :

- الجاحظ، البيان والتبيين.
- أرسطو، ترجمة عبدالقادر قنيني، الخطابة.
- مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية – عصر بني أمية –
- السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب.
- أحمد مُحَمَّد الحوفي، فن الخطابة.
- مُحَمَّد أبو زهرة، الخطابة أصولها – تاريخها في أزهر عصورها عند العرب.
- رامي منير، الخطابة عند العرب.
- علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب.
- ايليا حاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب.
- مُحَمَّد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام.
- داود بن عيسى بورقيبة، مدخل إلى فن الخطابة.

وككل بحث أكاديمي لابد أن تعترض الطالب الباحث بعض الصعوبات ومنها ما لاقيناه في بحثنا هذا من:

- عدم وجود مادة معرفية وافية تتماشى و البحث الأكاديمي ومناهجه الحديثة.
- محيط العمل لم يكن ملائما بسبب الفوضى والمشاكل والانشغالات وحالة الطقس وغيرها.
- صعوبة الوصول إلى المعلومة لكثافة المعلومات وقلة الجدوى.

وفي الأخير نشكر الأستاذ المشرف الفاضل عبد القادر بلغربي الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته وتصويباته وملاحظاته البناءة جزاه الله خيرا ونفع به لوقوفه إلى جانبنا ودعمنا نفسيا وتقديم العون لنا، وتزويدنا بمظان البحث وتوجيهنا إلى معين الحقيقة والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

مدخل

تمهيد.

1. الخطابة.

1-1 لغة.

1-2 اصطلاحا.

1-3 تعريف الخطيب.

2. الخطب المنبرية في عهد بني أمية.

بسم الله الرحمن الرحيم

تُعتبر الخطابة فن من فنون الأدب عرف منذ القدم، وتميز بالكثير من الخصائص، وهي نوع من أنواع المحادثات التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالجمهور الذي يقوم بسمعها، والذي يتأثر بها. لذلك كان من أشمل التعريفات وأكملها للخطابة هو أن الخطابة هي فن مخاطبة الجماهير للتأثير عليهم واستمالتهم. فالخطابة هي فن يقوم بشكل رئيسي على التحدث بصورة شفهية مع المستمعين استمالتهم وإقناعهم لما يقال. وبذلك يمكن القول إن من أساسيات الخطابة هي المشافهة، وتواجد جمهور مستمع، ولابد من توفير عنصري استمالة وإقناع الجمهور، ويجب للخطيب من أن يقوم بتوضيح رأيه للجمهور ويقوم بإقناعهم به. كما أن على الخطيب أن يقوم بتقديم البراهين والأدلة التي تثبت ما يقوله، أما الاستمالة فالمقصود بها إما تهدئة نفوس الجمهور السامع وإما تهيجهم نحو ما يقال. ولابد على الخطيب أن يمسك بجميع زمام الأمور ويكون قادر على التصرف بعواطف المستمعين كيفما يشاء، وفن الخطابة هو الفعل الذي ينطوي بممارسة الخطابة بذاتها.

تعدّ الخطابة أحد أهم الأجناس الأدبية النثرية التي تعتمد على الإقناع القائم على قوة الأساليب، وحسن انتقاء الكلمات لاستمالة المتلقين وتوجيه أفهامهم، وهي سلاح المجتمع الانساني في سلمه وحربه وفي ترقيته والإسراع به نحو المثل الأعلى الذي يجب أن يقصد إليه، فليس بدعا أن كانت بلاغ النبيين في أممهم والراح الذي يسكبه القُواد في نفوس جنودهم قبيل المعركة، فيسرعون باسمين متأهبين غلى قتال أعدائهم[1]، فالخطابة هي فن الإقناع والإمتاع، والأصل في تذوقها أن تُسمَع لحظة إلقائها[2].

1– الخطابة:

1 – 1 الخطابة لغة:

أُشتق لفظ "الخطابة" من المادة اللغوية (خ ط ب) التي تدل على معان كثيرة في المعجمات العربية، فقد قال ابن منظور: "قيل هو سبب الأمر، يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير" [3].

[1]– أحمد، محمّد الحوفي؛ فن الخطابة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع 2003/01/01، ط: 01، ص: 06.

[2]– سامي، يوسف أبو زيد؛ الأدب العباسي النثر، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2011م، ص: 155.

[3]– ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.1 ، 2004 لسان العرب ، مادة (خ ط ب)، ص: 79.

وقال الزمخشري: " خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، واختطب القوم فلان : دعوه إلى أن يخطب إليهم "[1]

ثم تطور المعنى اللغوي في الخطب الذي يخطب المرأة، وهي خِطبه التي يخطُبها دعاها إلى الزواج والجمع أخطاب، وقيل أيضا: رجل خطاب: كثير التصرف في الخطبة، والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان.

إذن: الخطابة عند ابن منظور: " الكلام المنثور المسجع ونحوه، رجل خطيب حَسُن الخطبة"[2]

وجاء أيضا في "محيط المحيط" "لبطرس البستاني": الخطاب: مصدر خاطب، و هو بحسب أهل اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام به عما يقع به التخاطب (أي أنه يستعمل للكلام الذي يخاطب الرجل به صاحبه). ونقيضه الجواب.

فصل الخطاب: الفصاحة والحكم بالبنية أو أن يقول الخطيب بعد الحمد لله أما بعد:

وعليه قول سحبان وائل الباهلي:

لقد علم الحي اليمانون أني *** إذا قلت أما بعد أنني خطيبها.

قيل أن أول من قال هذه العبارة خطيب العرب "قس بن ساعدة".

وفصل الخطاب عبارة عن الخطاب الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إسهاب ممل، والخطبة من الخطب لأنهم كانوا لا يخطبون إلا في أمر عظيم، كلام الخطيب أي اسم لما يخطب من الكلام ، وقيل هي الكلام المنثور المسجع، والخطبة ما يتكلم به الخطيب على جماعة مهمة دينية أو دنيوية".[3]

1 – 2 الخطابة اصطلاحا:

أ. عند أبي البقاء الخطابة بقوله:" الخطابة في اللغة كالخطاب وهي الكلام النفسي الموجه به نحو الغير للإفهام".[4]

[1]– الزمخشري، أبي القاسم بن عمرو: أساس البلاغة، مكتبة لبنان، بيروت، ط.1 ،1996، ص 220.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (خ ط ب)، ص : 79.

[3]– بطرس البستاني، محيط المحيط ، مكتبة لبنان، بيروت 1998،ص: 240، 241.

[4]– ينظر، منير، رامي؛ الخطابة عند العرب، دار الفكر العربي، بيروت– لبنان – ط1 سنة 2005، ص:07.

ب. عند أرسطو: " الخطابة قوة أو ملكة نستطيع أن نكتشف بها على وجه نظري أو تأملي ما، يمكن أن يكون شأنه الإقناع في كل حالة على حدة. ولاتوجد هذه الوظيفة في أي فن من الفنون الصناعية غيرها، إذ سائر الفنون تكون كل فن في موضوعه الخاص مختصة بالتعليم والإقناع، مثلا: يختص الطب بأحوال الصحة والمرض، والهندسة بتغيرات المقادير، ويختص علم الحساب بالعدد؛ وهكذا سائر الفنون والعلوم الأخرى، ولكن من الجائز أن نقول: إن الخطابة يبدو من أمرها أنها قوة بها نكتشف نظريا المقنع في كل أمر معطى. وهذا يُمكننا من أن نثبت بأن التقنية فيها لا تنتمي ولا تنتسب إلى أي جنس خاص متمايز والأدلة فيها تنقسم، منها ما هو خارج عن التقنية ومنها ما هو تقني صناعي، ونقصد بالأدلة غير التقنية تلك التي لا توفرها لنا الوسائل الشخصية ولكنها تعطى مسبقا؛ مثل الشهود والإعتراف تحت التعذيب والوثائق والعقود وغيرها من الوسائل الشبيهة بها، أما الأدلة التقنية فهي التي يمكن أن يوفرها لنا المنهاج، ووسائلنا الشخصية ونتيجة لذلك ينبغي أن نستعمل الأولى ونبتكر الثانية بأن نستخرجها ...

وقد يحصل الإقناع بالسمات والطباع متى كان الخطاب من شأنه وطبيعته أن يجعل الخطيب أهلا لأن يُصدَّق؛ لأن شرفاء الناس يوحون لنا بأعظم ثقة وأسرعها في جميع المسائل بوجه عام.[1]

ج- مصطفى جواد: يعرفها بقوله: "بأنها مخاطبة جمهرة من الناس في شأن من الشؤون الدينية أو الاجتماعية أو السياسية بكلام فصيح جليل المعاني، يستثير العقول ويستميل القلوب"[2]

1-3 تعريف الخطيب:

مما لا شك فيه أن من يريد إلقاء خطبة في موضوع ما، يجمع العناصر أولا، ثم يرتبها، ويضع كل عنصر في موضعه اللائق به، ثم يعبر عن ذلك وقد تحدث هذه الأعمال الثلاثة في أسرع وقت ممكن؛ كما هو الحال في الخطب الارتجالية، المجاوبات والمناقشات الخطابية. ذكر مؤرخو العرب وكتابهم خاصة الجاحظ، صفات أحبوها في الخطيب وعيوبا كرهوها فيه، كما ذكروا عاداته في إلقاء خطبه، وما يجب أن يرتديه من لباس، فقد استحسنوا أن يكون جهير الصوت واسع الفم، سُئل أعرابي: مالجمال؟ قال: طول القامة، ضخم الهامة، رحب الشدق وبعد الصوت.

[1] – أرسطو؛ الخطابة، تر: عبدالقادر قنيني، حقوق الطبع محفوظة للناشر، أفريقيا الشرق، المغرب – الدار البيضاء– 2008، ص:15.

[2] - عبدالكريم؛ إبراهيم دوجان، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني هجري،ط:1، – القاهرة – 2005، ص: 20.

فمن صفات الخطيب الجيد عند ملاقاة الجماهير قوة الملاحظة، حضور البديهة، طلاقة اللسان، رباطة الجأش، القدرة على مراعاة مقتضى الحال، النفوذ وقوة الشخصية، التجمل في الشارة واللباس وسعة الاطلاع [1]...

جاء في صحيفة الهندي: أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة؛ وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الروح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة و لا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قوله فضل التصرف في كل طبقة ... كما أحب العرب في الخطيب حسن مخارج الحروف، وتلوين الصوت، وتكييفه حسب المعنى وحسن الإشارة باليد أو الرأس ليكون بذلك الإلقاء جيدا.

من جهة أخرى كرهوا في الخطيب اللثغة والتأتأة واحتباس اللسان والنحنحة واللجلجة ومس اللحية والعبث بالأصابع وضعف النفس وإطالة النظر في وجوه مستمعيه، فقالوا: النظر في عيون الناس عيّ، ومس اللحية هُلك، والخروج مما بني عليه أول الكلام إسهاب، وقالوا أيضا: رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير الألفاظ، ومن عوائد الخطيب عندهم أن يأخذ المخصرة بيده (مايتوكأ عليه كالعصا)، وأن يعتمد على الأرض في القسي؛ ومن الخطباء من كان يأخذ المخصرة في حطب السلم، والقسي في خطب الحرب.[2]

2- الخطب المنبرية عند بني أمية:

كانت دولة بني أمية تعتز بالعرب وترفع من شأنهم، ولا تنظر إلى الموالي نظرة رعاية أو تقدير، فدولة بني أمية عربية أعرابية؛ أي أنها تعتد بالشرف العربي وتعده أرفع الأجناس وأولاها بالقيادة والريادة، وكانت دولة بني أمية لا تستخلف بني الإماء، ولا تبايع لبني أمهات الأولاد.

وكذلك حافظ الخلفاء الأمويون على الصبغة والثقافة العربية فنشأ أبناؤهم بالبادية يتعلمون فيها الشعر والأدب واللغة، مثلما كان الأمر لعرب الجاهلية، ويكتسبون الملكة والفطرة والطبع، فكانوا وفقا لذلك يتكلمون العربية سليقة وجبلة، ويعقدون المجالس الأدبية ويستدعون الرواة والأدباء والشعراء ويكافئونهم بجزيل العطاء وسني المواهب فوق عطفهم وبرهم بالعرب، وقصْر وظائف الدولة عليهم وحدهم من ولاية وقيادة جيوش وتنظيم دواوين وإلى غير ذلك من كبرى المناصب في السياسة والقضاء والإدارة[3].

---

[1]- ينظر، مُحَمَّد، أبو زهرة؛ الخطابة أصولها – تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، مصر – القاهرة – ط1، 2012، ص: 45، إلى ص: 50.

[2]- ينظر، منير، رامي؛ الخطابة عند العرب، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان – ط1 سنة 2005، ص:09، 10.

[3]- ينظر، الجاحظ؛ البيان والتبيين، تح: عبدالسلام هارون، دار الخانجي، ـ القاهرة ـ ط:7، سنة 1998 ج3، ص:206.

"فالثورات السياسية، وكثرة الحروب والفتوحات، واشتداد الخلاف بين الأحزاب التي نشأت وكثرت في هذا العهد من شيعة وأمويين وخوارج وزبيريين وروافض وسواهم، والتنازع بين العقائد والمبادئ، كل ذلك عمل عمله في نهضة الخطابة وسموها، وقربهم من العصر الجاهلي أمدهم بسلامة الملكات وبلاغة القول، كما أمدهم الإسلام والقرآن الكريم بحصافة الرأي وسلامة الفكرة وحسن البيان، مما كان له أثره في الخطابة الأموية."[1]

فكان لهذين المنبعين الدافقين الأثر الكبير في ورود الخطب المنبرية في عهد بني أمية على الشكل الذي هي عليه من مزاوجتها بين الملكة والفطرة العربية الصرفة والأسلوب الرصين والبلاغة الواضحة المستوحاة من القرآن الكريم، فكان خطيبهم لا يعتلي منبرا إلا وقد أبان وأفصح ورسخ مراده لدى سامعيه، وجعله للأفهام أقرب وبالقلوب أعلق وألصق.

[1]- مُحَمَّد عبدالمنعم؛ خفاجي، الحياة الأدبية في عصر بني أمية، دار الكتاب اللبناني – بيروت- ط2، سنة 1980، ص:236.

الفصل الأول

1. تاريخ الخطابة.
2. بلاغة الخطابة.
3. أسلوب الخطابة.
4. موضوعات الخطابة.

1- تاريخ الخطابة وتطورها:

الخطابة وسيلة من وسائل التعبير التي استخدمها الإنسان في حياته قديمًا، فخلق الإنسان واستعداده الفطري للتعبير عن رأيه وبإقناع غيره به، وقد اعتمد الرسل والأنبياء بشكل كبير على أسلوب الخطابة في دعوتهم لطاعة الله سبحانه وتعالى، وقد ظل من خطب الرسل والأنبياء خطب التوراة، والخطب المحمدية، كما تم العثور على الكثير من الخطب بكتابات الآشوريين، وبآثار المصريين الهيروغليفية.

1 – 1 الخطابة في العهد اليوناني والروماني:[1]

اهتم اليونانيون بالخطابة، وأهم من درسها منهم هو أرسطو زعيم الفلاسفة اليونان، وقسم اليونانيون الخطابة لثلاثة أقسام هي: القضائية، والاستدلالية، والاستشارية. والخطابة في عهد اليونان والرومان تحسنت بشكل كبير، حيث ظهر عند اليونانيين في نقاشاتهم وحروبهم السياسية، ففي القرن العاشر قبل الميلاد جاءت الخطابة في إلياذة هوميروس وعلى ألسنة الأبطال والآلهة. وتطورت كثيرًا في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد في عهد برقليس زعيم أثينا، وقد ظهر عدة خطباء منهم ديمستينينس وإيسوقراطيس، وديمستينيس والذي كان في أثينا رجلًا ضعيفًا وبصوت خافت، إلا أنه عندما قرر أن يكون خطيبًا قام بتحسين صوته وبتقوية حنجرته عن طريق صراخه من أعلى قمة الجبال، والجدير ذكره أن أصبح من أهم الخطباء في عصره، وقد تم تدوين الخطابة في اليونان في نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع قبل الميلاد، وكان ممن قام بتدوينها برتاغوراس بروديكوس وغروجياس، أما أرسطو فقد اعتنى بشكل كبير بهذا العلم، ولم يترك أمر متعلق به إلّا وقد قام بدراسته وتدوينه، وقد ظهرت الخطابة عند الرومان عقب فترة من ظهورها عند اليونان، وذلك بسبب أنهم كانوا منشغلين بالحروب، وكان الخطيب كاتون من الخطباء المعروفين والمشهورين عند الرومان، والذي كان يعرف بالنقاد، وكان يوليوس قيصر قائد الرومان خطيب مشهور أيضًا، وقد اشتهر من بعده شيشرون إمام الخطابة

[1] – مُحَمَّد، أبو زهرة؛ الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص: 10 – 14. بتصرّف.

اللاتينية، وظهر الكثير من الخطباء الرومان من القسيسين الأساقفة وخاصة عقب ظهور المسيح عليه السلام.

1 – 2 الخطابة في العصر الجاهلي[1]:

اهتم العرب القدماء في العصر الجاهلي بالخطابة، وتجلى اهتمامهم فيها باستعمال السجع، واشتهر العرب في العصر الجاهلي بدفاعهم عن أنفسهم عن طريق المفاخرة والاستعراض بما كانوا يشتهرون به بيانا وفصاحة، فقد كانت الخطابة عند العرب صفة فطرية في طبيعتهم، وكانوا يقومون باستخدام الخطابة في حوارهم ومجادلاتهم الشديدة حتى في حروبهم، وكانت الخطابة أسلوبا لديهم يستخدمونه للدفاع عن أعراضهم وكرامتهم بل وعن أموالهم. وبالرغم من أن العرب في الجاهلية قد اهتموا بالخطابة بشكل كبير، إلا أن اعتنائهم كان بالشعر أكبر، ولعل ذلك هو أحد الأسباب المعنية بعدم وصول أخبار خطبهم وخطبائهم، فقد أصبحت أخبار الخطابة في العصر الجاهلي تنتقل وتشتهر عندما تفوقت مكانتها لمكانة أعلى من مكانة الشعر عندهم لأنه بات وسيلة يتعاطاها السفهاء والعامة من القوم، بالإضافة لاستخدامه في الطعن والخوض في الأعراض، الأمر الذي أدى لعلو مكانة الخطابة بالنسبة للشعر، وكان لكل قبيلة خطيب. واشتهر أشراف القبائل في العرب بالخطابة، وكثر استخدامها للحث على الإصلاح والقتال وفي الوفادة على الملوك والأمراء بقصد الاستمالة والتأثير في النفوس.

1 – 3 الخطابة في العصر الاسلامي: [2]

أعطى الإسلام الخطابة أهمية كبيرة جدًا، حيث استخدمها سيدنا مُحَمَّد عليه أفضل الصلاة والسلام في دعوته للإسلام وفي الكثير من المناسبات الدينية. وجاء الإسلام لكي يهذب مبدأ الخطابة عما كانت عليه عند العرب من أسلوب يتباهون عن طريق بأنسابهم للتباهي بإتباع الدين الإسلامي الحنيف. وباتت الخطبة جزء من العبادة، فأصبحت أساسية خطبة الجمعة، وهناك خطبة في العيدين

[1] – المرجع السابق، ص: 195. بتصرّف.
[2] – نفسه، ص: 95.

الفطر والأضحى، وأصبحت لها أهمية كبيرة وتفوقت عن الشعر. ويرجع الفضل في علو مكانة الخطابة في الإسلام للقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، فأصبحت الخطب في العصر الإسلامي تدعو لإتباع الدين والتمسك به. وتدعو للعمل للآخرة، وتهدف لإعلاء كلمة الحق، وباتت تحذر المسلمين من الانزلاق والانحدار في طرق الشهوات والزلات. ووصلت الخطابة في ظل الإسلام لأسمى مكانة، ولأعلى طبقات البلاغة. وكانت الخطابة تتميز بالأسلوب المؤثر المتين والمقنع وخاصة خطب الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين الحجاج بن يوسف، وزياد بن أبيه وأبي حمزة الشاري، وأصبحت الخطابة تزدهر أكثر وأكثر في العصر الإسلامي. تعددت أنواع الخطابة، ومنها الآتي:

أ- **الخطب الدينية:** وهي تلك الخطب التي تختص برجال الدين، ومن الأمثلة عليها خطب الأعياد وخطب الجمعة

ب-**الخطب القضائية:** وتشمل على الاتهامات والمرافعات والادعاءات، وغالباً ما يكون مصدر هذه الخطب المحامين.

ت-**الخطب العسكرية:** واغلب ما يلقيها رؤساء الأنظمة العسكرية وقادة الجيوش. الخطب الجدلية، وهي ما تتضمن على التنافر والتفاخر.

ث-**الخطب السياسية:** وهي الخطب التي يقوم بإلقائها القادة ورجال السياسة. والخطب العلمية، وهي ذلك الخطب التي تشمل على الأمور العلمية والمناظرات.

1 – 3 – 1 الخطابة في عصر صدر الإسلام: جاءت الدعوة الإسلامية ونزل القرآن بلسان عربي، حتى إن العرب اختلفوا فيما وصل إلينا من نثر جاهلي مما زاد من دواعي الحجج والكلام والخطابة، فأخذ هذا الفن يزدهر وينمو، وأخذ العرب ينهلون من معاني، وألفاظ، وأساليب الأحاديث الشريفة، وأخذوا يصوغونها في أدبهم فشغلت موضوعات الخطابة الأمور الجامعة، والحوادث المفاجئة، والمناسبات الكثيرة[1]، فكانت الخطابة صوت الحق، وحجة النبي ﷺ لدعوته.

[1]- عبد الكريم، البوغبيش؛ تطور الخطابة الإسلامية"، ديوان العرب. ص:06، بتصرّف.

1 – 3 – 2 الخطابة في العصر الأموي:

كثرت دواعيها، واتسعت موضوعاتها، وذلك بسبب الفتن التي قامت في صداها الدولة الأموية، فقد انقسم المسلمون إلى أحزاب: شيعة، وأمويين، وخوارج، وزبيريين، وكان كل منهم يدعو إلى طائفته ودعوته، وأيضًا كان الخلفاء وولاتهم في أشد الحاجة إلى أن يبينوا سياستهم لناس، فبينوا إحسانهم وحكمهم كما أن الفتوح الإسلامية لم تنقطع فوجد الأمويين فيها شغلهم الشاغل فكانت حروبهم تحتاج إلى الخطابة والبيان، وزادت الوفادة في ذلك العصر، الأمر الذي قد يدعوا الخليفة لإعلان النصرة والتأييد أو عقد حبل مودتهم، فعادةً ما يكون الوفود من أرباب البيان وكبار المتكلمين؛ لذلك نجد كثرة الوفادة في هذا العصر، وكانت عاملًا من عوامل انتشار الخطابة[1]. وفي هذا العصر تفجرت ينابيع الحكمة، وفاضت بدائع الناس ويرجع هذا إلى المجادلات التي كانت تقوم بين الفرق السياسية، كما إنّ دعوة الخلفاء للخطابة والترويج لها كان سبباً للنهضة فيها، فكانت دُورهم منتديات لها، ليتبارى فيها أبلغ الخطباء، مما أدى إلى التفاخر بقدرة كل منهم على الخطابة وإجادتهم للبيان، فعرف ذلك العصر بأنه عصر نمو ورفعة للخطابة[2].

1 –3 – 2 الخطابة في العصر العباسي: ظهرت الخطابة أيضًا في العصر العباسي الذي كان بينه وبين العصر الأموي تشابه واضح، نظرًا لكون الدولتين عاشتا وسط فتنة صاخبة، وكانت موضوعات الخطابة في الدولتين متقاربة، ومن دواعي الخطابة في هذا العصر، الدعوة العباسية فقد قامت على إثبات حق آل البيت في الخلافة وإظهار سياستهم، فكانت الخطابة ببيان رائع وخطب قيمة، بالإضافة إلى المجالس التي كانت تعقد للتشجيع على الخطابة، وتسابق أهل اللسان والبيان من أجل الإجادة، ومحاولة التأثير والاجتذاب إلى الفكرة[3].

---

[1]– مُحَمَّد، أبو زهرة؛ الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص: 195. بتصرّف.

[2]– نفسه، بتصرّف.

[3]– نفسه، ص: 286.

2– بلاغة الخطابة:

تعتبر الخطابة إحدى أهم الوسائل التي يمكن من خلالها للإنسان أن يحقق استمالة الآخرين إلى رأي يتبناه أو موقف يدافع عنه، وفن الخطابة العربية يمثل أرقى درجات الكتابة فصاحة وبلاغة في اللغة العربية، ليس ذلك إلا بفضل ما يتوفر فيها من أساليب البيان ومعاني الإقناع والتأثير في نفس المتلقي و تغلب عليها الحماسة، وتكون للكلمة البليغة الملتهبة فيها مكانة متميزة، كما يكون لحسن سبك صيغها وترابط أجزائها ورصانة أسلوبها دورا هاما في فاعليتها و قوتها وكمال دورها، في بلوغ مرادها، وهذا ما بينه الجاحظ:" ولا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك "

ومثل أي نص نثري تبقى" الخطابة العربية – عبر كل العصور– نصا نثريا راقيا متميزا على مستوى اتساق عباراته وانسجام دلالاته مليئا بجمال الأسلوب وحسن التعبير وجودة الفكرة نظرا لما يبذله فيه الخطيب من حسن التنميق وجمال التكلف في غير إسراف حتى تحقق الخطبة أبعاد التأثير في نفوس المتلقين، والغالب في قالب الخطابة وبنائها اللغوي أن لها ثلاث مفاصل رئيسة مدخل وعرض وخاتمة ، وأنه ينبغي أن يكون لكل مفصل من هذه المفاصل ميزته اللغوية وتراكيبه التعبيرية ومفرداته الدلالية التي تحقق الغرض الذي كانت من أجله هذه الخطبة فمناسبة الألفاظ مع معانيها عبر مختلف مراحل الخطابة أكثر من ضرورة، ومما ينبغي أن يتوفر عليه البناء اللغوي للخطابة معاني الاقناع بالحجة اللازمة ثم لزوم الوضوح الذي يستسهل تبليغ المطالب للمستمعين كما ينبغي على الخطيب البعد عن العبارات الغامضة واجتناب التكلف قدر الإمكان وأن يراعي استخدام الصيغ اللغوية الرصينة والمتينة في غير تقصير أو حشو.[1]

كما "لا يكفي أن يكون نص الخطبة تتسم عباراته بالتناسق والتكامل على مستوى البنية الشكلية وإنما المطلوب كذلك أن يتوفر في الخطبة معيار آخر يختص بالاستمرارية على مستوى باطن النص

[1] ـ لخضر، غزال؛ جمالية السبك النصي في فن الخطابة العربية، مجلة الإشكالات في اللغة العربية، مج 2، العدد 8، جامعة أحمد دراية، – أدرار – الجزائر، 2019، ص: 398.

القائم على منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينها من خلال إجراءات تنشط عناصر المعرفة للوصول إلى الترابط المفاهيمي بين كل مكونات النص الخطابي، وعليه فإن " الخطابة نص ليس رصفا اعتباطيا لعدد من الكلمات والعبارات و إنما هو نتاج مترابط و متماسك ذو بينة مركبة ذات وحدة دلالية كلية شاملة تجسدها العلاقات النحوية التركيبية بين جمله و قضاياه فالانسجام هو الكيفية التي يتمكن القارئ إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النص و معها يصبح النص وحدة اتصالية متجانسة."[1]

فالعلاقات الدلالية تعمل على جمع أطراف النص ولربط متواليات الجملية بعضها ببعض دون ظهور وسائل شكلية في ظاهره، ولهذا المعنى يذهب سعد مصلوح إلى القول بأن العلاقات الدلالية هي «حلقات الاتصال بين المفاهيم، وتحمل كل حلقة اتصالا نوعا من التعيين للمفهوم الذي ترتبط به بأن تحمل عليه وصفًا أو حكما أو تحدد له هيئة أو شكلا وقد تتجلى في شكل روابط لغوية واضحة في ظاهر النص كما تكون أحيانا علاقات ضمنية يضفيها المتلقي على النص و بها يستطيع أن يوجد له مغزى بطريق الاستنباط وهنا يكون النص موضوعا لاختلاف التأويل»[2]

2 – 1 مصادر بلاغة الخطابة في العصر الإسلامي:

إن المتأمل في خطابة العصر الاسلامي –خاصة– يجد تأثرا كبيرا بالقرآن الكريم والحديث النبوي.

أولا: القرآن الكريم: يمكن حصر التأثر بالقرآن الكريم في العناصر الآتية:

أ– الألفاظ: للقرآن الأبعاد تجاه الألفاظ حيث قام بتهذيبها وتليينها وحفظ معجم الألفاظ الفصيحة من الضياع واللحن وبتوحيد معجم الألفاظ بعدما كان مبعثرا بين القبائل.

[1] ـ عزة، شبل؛ علم لغة النص، النظرية والتطبيق المقامات اللزومية للسرقسطي، مكتبة الآداب، مصر، (دط) ، 1999م، ص:184.

[2] ـ سعد، مصلوح؛ نحو أجرومية للنص الشعري قراءة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مج 10، العدد 1، أوت 1991، ص:154.

ب-المعاني: أصبح القرآن مرجعا للمسلمين في أمور دينهم ودنياهم ولهذا أكثروا من الاستشهاد به في نثرهم على الخصوص، فلا نكاد نعثر على خطبة دون تضمين على آية قرآنية أو أكثر. وقد يكون هذا التضمين للفكرة فقط ، وللقيم الجديدة والمبادئ التي نادى بها الإسلام.

ت-البلاغة والبيان: يظهر أثر ذلك واضحا في فن الخطابة وقد أشار إلى ذلك مؤلفو الرسائل في دلائل الإعجاز ولعل أبرزهم رسالة الجرجاني التي سماها الرسالة الشافية وهي غير الكتاب الذي ألّفه في هذا الموضوع، ويربط الجرجاني الإعجاز القرآني بالنثر على وجه العموم، والخطاب على وجه الخصوص حيث يقول: « معلوم أن سبيل الكلام سبيل ما يدخله التفاضل، وأن للتفاضل فيه غايات ينأى بعضها عن البعض، ومنازل يعلو بعضها بعضا، وأن علم ذلك علم يخص أهله، وأن الأصل والقدوة فيه للعرب، ومن عداهم نبع لهم وقاصر فيه عنهم، وأن لا يجوز أن يدعي للمتأخرين، من الخطباء والبلغاء عن زمان النبي- ﷺ- الذي نزل فيه الوحي، وكان فيه التحدي أنّهم زادوا على أولئك الأولين، أو كمَّلوا في علم البلاغة أو تعاطيها لما لم يكمِّلوا له»[1]

ثانيا: الحديث الشريف: من عوامل بلاغة فن الخطابة في العصر الإسلامي والأموي نجد الحديث النبوي الشريف، وقد أرجع اللّغويون فصاحة النبي ﷺ إلى عدة عوامل منها:

- كونه ﷺ مؤيدا بالوحي من لدن حكيم عليم خبير.

- نشأته في مكة التي كانت لهجتها من أصح لهجات العرب وأفصحها.

- رضاعته في بني سعد في البادية التي كانت معروفة عند القدماء بالفصاحة.

واعتبر علماء اللّغة الحديث الشريف مصدرا أساسيا في جمع اللّغة العربية وتقعيدها واعتبروه تأتي حجة بعد القرآن، كما اعتبره البلاغيون والنقاد حجة في تحليلهم للظواهر البيانية والفنية في الشعر والنثر.

[1] ـ أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمان الجرجاني، الرسالة الشافية، ضمن كتاب: ثلاث رسائل في دلائل الإعجاز، ص117-118.

3 – أسلوب الخطابة:

الأسلوب طريقة المتكلم الخاصة في تكوين أفكاره واختيار ألفاظه وتأليف كلامه، وعرض حججه وقضاياه والتعبير عما يريد نقله للسامعين من معان وأفكار تعبيراً ملائماً لهم فلا بد من الكلام عن وسائل الإقناع المتصلة بموضوع الخطبة، أي عن الحجج المتعلقة بالكلام نفسه، ويشمل تقسيمها وتنسيقها، وصياغة أفكارها ومعانيها في عبارات وجمل، واختيار طرق التعبير عنها، وهو ما يمكن تسميته بالأسلوب، فالأسلوب طريقة المتكلم الخاصة في تكوين أفكاره واختيار ألفاظه وتأليف كلامه، وعرض حججه وقضاياه، والتعبير عما يريد نقله للسامعين من معان وأفكار تعبيراً ملائماً لها وللسامعين، وهو الجانب الأشق والأهم في عمله الفني، فليس الشأن كله في إيراد المعاني؛ فلجودة اللفظ وصفاته، وجمال التركيب واستوائه، وحسن جلاء تلك المعاني شأن أكبر، لهذا تأنق الخطباء والكتاب في أقوالهم، ليدلوا على أنفسهم ويصلوا إلى ما يريدون من التأثير في المخاطبين، وهو –كما قال بعضهم – « مظهر الهندسة الروحية لهذه الملكة النفسية يبرزها للعيان، وينقل أثرها المضمر إلى الغايات البعيدة ، والأغراض المختلفة ».[1]

وهو الذي يمنح الألفاظ قوة، ويهبها حياة وفاعلية، فالكلمات المفردة التي لا ينتظمها أسلوب لا تشكل صورة، ولا تترك في النفوس أثراً.[2]

أسلوب الخطابة يسير في مناهج تهدف إلى غايتها، فلابد فيه من البراهين للوصول إلى الإقناع، والانفعالات الوجدانية لتحقق التأثير، جامعاً تقرير الحقائق وإثارة العواطف، مستخدماً الفكر والوجدان، شخصية الخطيب، ومدارك السامعين، وهو الذي يساعد على الإقناع وييسر انقياد السامعين للحجة، لأن من يتأثرون بعواطفهم أكثر ممن يتأثرون بعقولهم فهم أحوج إلى وسائل الإيحاء

[1] – مُحَمَّد طاهر؛ درويش، الخطابة في صدر الإسلام، دار المعارف – مصر – ط:2، ج:1، ص:38.

[2] – نفسه، ص: 39.

بالأسلوب منه إلى الالتجاء للحجة، والطريقة التي يقال بها أمر من الأمور تؤثر في طريقه فهمه، كما أن فن الإلقاء يزيد الأسلوب الخطابي أهمية.[1]

ولهذا جاء كلام أرسطو في الأسلوب متضمنا أمرين:

أولا: ترتيب أجزاء الكلام .

هذا الترتيب عنده من مقومات الأسلوب، وقد مضى له ذكر في الكلام على أجزاء الخطبة وأقسامها ، و مجمل القول فيه : « أن الخطبة تتألف من مقدمة ، وعرض ، وخاتمة ، العرض بما يتبعه من الإثبات هو المقصود من الكلام، والخاتمة في بعض الأحيان ، وأن هذا التقسيم بيسر المقدمة وأنه قد يستغنى عن للخطيب وللسامعين بلوغ الغاية المرجوة من الخطابة، ويكسب الخطبة نفسها حسناً ووضوحا وتأثيراً.[2]

أ – المقدمة: تنبه السامعين إلى الموضوع، وترغبهم في الاستماع، وتهيء أذهانهم للاقتناع، وتستميل قلوبهم إلى ما يراد، وتؤلفها حول الخطيب، وعليها يتوقف قدر كبير من نجاحه، ولذلك يجب أن تكون سهلة الألفاظ قريبة المعاني فخمة العبارة، مثيرة للمشاعر بألفاظها الرنانة، وعباراتها الخلابة، وأن يهيب الخطيب فيها بوعي السامعين، فهي في مهمتها تشبه المطلع للقصيدة، والتمهيد الموسيقى الأغنية، والمدخل للمسرحية والملحمة ، فوجب أن تكون ملائمة للخطبة في قدرها ونوعها، وكانا مالت إلى الإيجاز والجدة كان ذلك أدعى التنشيط والتشويق، وتختلف المقدمة في الخطابة بحسب أنواعها ، ففي الخطابة الاستدلالية يؤتى بمدح أو نقد أو نصيحة أو رأى، وفي الاستشارية يذكر الخطيب شيئاً نفسه أو خصمه، أو يثير بعض المزاعم أو يمحو، ليكون السامعون أكثر قبولا لقوله، وطبيعة القضائية تجعل المقدمات فيها نادرة.[3]

---

[1] – المرجع السابق، ص: 39.

[2] – أرسطو، ت: عبدالقادر قنيني، الخطابة، ص:13.

[3] – مُحَمَّد طاهر؛ درويش، الخطابة في صدر الإسلام، دار المعارف – مصر – ط:2، ج:1، ص:40.

ب – العرض: ويأتي بعد المقدمة، ولابد فيه من وحدة الموضوع، وتقسيمه إلى أجزاء تسلسل تسلسلا منطقياً، بحيث يرتبط كل منها بما قبله، ويسلم إلى ما بعده، ويكون من الدقة والوضوح بحيث يحقق السامعين مزية الفهم، وهم لذة التتبع ، ويؤدى إلى الغرض المنشود.[1]

ويتبع العرض الإثبات، وهو تدعيم القضية بالبرهان عن طريق التأييد أو التفنيد، وكلاهما يعتمد على القياس المنطق أو الخطابي، وقد يكون إهمال حجج الخصم في بعض الأحيان أولى من العمل على نقضها، إشارة إلى تفاهتها وقلة اكتراث السامعين بها، هذا إلى أن أقوال الخصوم قد يدحضها مجرد إثبات الخطيب لقضيته، فلا تبقى حاجة إلى تفنيدها) ويراعى أن إثبات أي خطأ فيما يسوقه الخصم من قول هو كالبرهان على خطئه فيها جميعاً، والبرهنة بالمثل أليق بالخطابة الاستشارية أو السياسية، فتذكر فيها الحوادث الماضية في صورة أمثلة، والبرهنة بالقياس المفسر أفضل في الخطابة القضائية، على أنه ينبغي ألا يؤتى بالأقيسة المفسرة متوالية وإلا أفسد بعضها بعضاً، كما ينبغي تجنبها حين يقصد إلى إثارة المشاعر، وحين يوصف الخلق، ففي هذين يحسن استخدام الحكم.[2]

والقياس المفسر أقوى أثراً لدى الجماهير في التفنيد منه في الإثبات لأن قوة المنطق في تفنيد الحجج أشد إثارة للانتباه، وفي كل من الخطابة الاستشارية والقضائية إذا تحدثت أولا فأدل بما لديك من الحجج ، ثم أتبعها بدحض حجج خصمك، إلا إذا كانت حججه كثيرة منوعة، فابدأ بالرد عليها قبل أن تدلى بحججك، وإذا تحدثت ثانيا فابدأ بالرد على خصمك، وبخاصة إذا كانت حججه لقيت قبولا حسنا، فعليك أن تفسح في عقول جمهورك مكانا يستقبلون فيه أقوالك، وذلك بتنحية حجج الخصم من طريقك، فهاجمها في مجموعها وفي تفاصيلها التي تنال منك، فتوحى بالثقة فيما تقوله بعد، و إذا كانت هناك عيوب خلقية لا تستطيع أن توجهها إلى خصمك إلا إذا جافيت الأدب، فضعها على لسان شخص آخر، ومن عوامل نجاح الخطيب في هذه المرحلة أن يلتزم الصدق في قوله، وأن يتحلى بالأدب اللائق في مناقشة خصمه، وأن يترفع عن السباب والإسفاف، معتمداً على الحق

[1] – المرجع السابق، ص: 41.

[2] – نفسه، ص: 41.

والحجة والمنطق في الإقناع والتأثير، وهناك مواضع يحسن فيها الاستفهام وللسخرية والدعابة كذلك بعض الأهمية في الخطابة.[1]

ت – الخاتمة: ولا يبقى بعد أن يفرغ الخطيب من العرض والتدليل سوى الختام، وله أهمية خاصة، لأنه تلخيص للموضوع، وتسجيل على السامعين، واستمرار الإثارة التي أشعلها الخطيب، وهو لاجتذاب عواطفهم المجال الأخير ، لهذا وجب أن يكون واضحاً قوياً موجزاً ، فالإنجاز يزيده قوة، ويهبه روعة، على أن الختام على أهميته ليس ضرورياً في كل الحالات، فشأنه في الخطابة القضائية شأن الافتتاح، قلما يحتاج إليه، الحال في الخطب الموجزة، ومع الحقائق التي يتيسر تذكرها دون حاجة إلى تلخيصها في الخاتمة، وإذا لجأ الخطيب في تقرير مسألة إلى طريقة الاستفهام، فعليه ألا يضع بعد الخاتمة أي سؤال، وعليه ألا يضع الخاتمة نفسها في شكل سؤال إلا إذا كانت الإجابة عنه تضمن الحق إلى جانبه واضحاً كل الوضوح.[2]

ثانيا: مقتضيات الأسلوب اللغوية:

رعايتها ضرورية في الخطابة، إذ لا يكفي أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال، بل يجب أن يقوله كما ينبغي، وقد بين أرسطو : ما يجب أن يتوافر في الأسلوب الأدبي عامة، من خصائص الصحة والدقة والوضوح؛ وصحة الكلام جريانه على ما تقتضيه قواعد اللغة والنحو حتى لا ينتهى إلى التعقيد، ودقته أن تكون الألفاظ على قدر معانيها، مفصحة الانفعالات والصور المقصودة بعيدة عن الإسفاف والغلو والتكلف، متسمة بالجدة، وتقصير الأسلوب عن أداء المعنى بالاقتضاب، وغموض المعنى بالإطالة دون داع يخلان بدقة الأسلوب، ووضوحه في قدرته على أداء المعنى المراد بلا جهد أو غموض، مع بعده عن الابتذال، وذلك باستعمال ألفاظ نبيلة خاصة ومجازات مناسبة، دون إفراط، لتكون كالحلية في الكلام.[3] ، وذكر أرسطو أن الخطبة ينبغي ألا تخلو من الإيقاع الموسيقى، الذي

[1] –المرجع السابق، ص:42.

[2] – نفسه، ص: 43.

[3] – نفسه، ص: 43.

يستعين به الخطيب على إثارة الانفعالات توصلا إلى الإقناع، كما ينبغي أن تتحرر من الوزن الشعرى، لأن الوزن يقضى بمظهره المصطنع على ثقة السامعين بالخطيب و يصرف أنظارهم إلى شيء آخر في نفس الوزن.[1]

وأن تكون جملتها ذات أجزاء متوسطة الطول، يسهل النطق بها في نفس واحد، لأنها إذا كانت جد طويلة ملها السامع و تخلف عن تتبعها و إذا جاءت جد قصيرة فجأته، فجعلته يضيق بها، كأنما تعثر فكره، فوقف دون ما ينتظر، وبهذا تقرب صياغة الخطابة في تقسيم الجمل من الأوزان الشعرية، وتستعير تأثيرها، وهو يرى أن الازدواج أفضل في الخطابة ، فإذا انضم إليه التقابل كان أجمل، فإذا اجتمع إليهما التكافؤ، والسجع في موضعه كان ذلك أبلغ وأكمل.[2]

فكمال الأسلوب في الشعر والخطابة يعتمد على اللغة الواضحة الدقيقة وعلى تقسيم الجمل في الخطابة تقسمها يقربها من الأوزان الشعرية، والخطابة كالشعر يجب أن يراعى في صياغتها تمثيل المنظر أمام العيون، ووسيلتها إلى ذلك التعبير بصيغة الحاضر والبحث عن الاستعارات التصويرية الملائمة للموضوع والخطيب كالشاعر عليه أن يجعل ما يقوله أهلا للاعتقاد، وتحدث أيضا عن الابتكار في الأسلوب وأثره، والمجاز عنده هو خير ما تقف به على أفكار جديدة، لأنه يكسب الكلام وضوحاً وسموا وجاذبية، لا يكسبه إياها شيء آخر، وهو ذو قيمة كبيرة في الشعر والنثر، ولكن الكتاب أحوج إليه من الشعراء ، لأن مواردهم الأخرى غير اللغوية في الأسلوب أقل من موارد الشعراء، الذين لهم في الحكاية وترتيبها، وعرض المواقف لموارد فنية كثيرة، وقد اتجه إلى هذا الرأي بعض العرب، يقول العلوي في كتابه الطراز: « إن الفصاحة والبلاغة كما يردان في المنظوم يردان في المنثور، وأحسن مواقعهما ما ورد في المنثور ».[3]

[1] – المرجع السابق ، ص: 43.

[2] – نفسه، ص: 44.

[3] – نفسه، ص: 45.

وهو يريد بالمجاز كل ما يتجاوز التعبير الحقيقي السهل، ومنه التشبيه، والاستعارة والتمثيل والتقابل والأمثال، والمبالغات تدخل عنده في الاستمارة والخطابة القضائية أقل أنواع الخطابة حاجة إلى وسائل الصنعة الخطابية، وبخاصة إذا كانت موجهة إلى قاض واحد، ولذا كان أسلوبها أقرب إلى الأسلوب الكتابي، أما الخطابة الموجهة إلى الجماهير فهي محتاجة إلى الصنعة الخطابية، ليسها التأثير بها فهم، فأسلوب الخطابة يعتمد على فن الإلقاء، وما يتبعه من تغيير نبرة الصوت بحيث تناسب المقام، ويتطلب مع هذا التكرار وفصل الجمل، وذلك لأنه يهدف إلى إثارة الانفعال وتصوير الأخلاق، وفى التكرار إلحاح على المعنى، وفي الفصل إيحاء بأن الشيء الواحد أمور متعددة، فيكون بذلك أكثر أهمية، وأشد إثارة.[1]

ومن أهم العوامل التي يعتمد عليها الأسلوب الخطابي، وتتصل بالصنعة الخطابية، جهارة صوت الخطيب، وصفاؤه، وحلاوة جرسه، وحسن شارته وسمته؛ فإنه يدعو إلى أن تسكن إليه نفوس السامعين، وإيمانه بما يدعو إليه فإن ذلك ينعكس على الجمهور خلال خطبته « فإن الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان، والتزام الإيجاز إلا في المقدمات التي تتطلب الإطناب، فإن للكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية، وأن يكون فطناً لأحوال السامعين، فيوقظ نشاطهم إذا فتروا ، ويمسك إذا رأى منهم كلالا أو انصراف، وشدة والعارضة سلاح الخطيب، وظهور الحجة وثبات الجنان والتواضع وسكون الجوارح من أسباب نجاحه.[2]

وإلى هذه المؤثرات الخطابية وأشباهها يرجع بعض الفضل فيما يبدو لأسلوب الخطابة من روعة وقوة، ولهذا لو كتبت الخطابة وقرأت امرت من كثير من جلالها وسحرها . ولبدت أقل قيمة في بعض جوانبها، لأنها تفقد عندئذ بعض مقوماتها التي تعتمد عليها في إثارة الشعور، وإلهاب العاطفة، وإيقاظ الوجدان.[3]

---

[1] – المرجع السابق، ص:45.

[2] – نفسه، ص: 46.

[3] – نفسه، ص:46.

يرى أرسطو ضرورة تأليف اللفظ مع المعنى، بأن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المراد ومناسبة له فالمعنى الفحم لفظ جزل، وللمعنى الرقيق لفظ سهل، مع مسايرة الإلقاء لكل منهما فيما يشاكله، بلا مبالغة تضفى على الموضوع كله طابع الصنعة، وتحول دون إحداث التأثير المطلوب، وبذلك يتعاون الأسلوب والنبر وجرس الأصوات على نجاح الخطيب فللنبر والجرس إيحاء عرفه الأقدمون به المحدثون « فالنبرة الخطابية تفيض حماسة وحرارة، وليس معنى هذا أنه لا به من التزام النبرة الحماسية، ولكنه لا بد من أن يسرى في الخطبة سمو يعادل موضوعها، وأن يشع فيها وهج العاطفة والسمو والخيال"[1]

كما يرى أن يحذر الخطيب حشد جميع وسائل الابتكار في الأسلوب حول معنى واحد ، لأن هذا مظهر التكلف والصنعة، وعليه ألا يدع الجمهور يلحظ ذلك حتى يتسلل قوله إلى نفوس السامعين من غير أن يشعروا ، ويؤثر فيها أثره المنشود، ومن هذا تتبين أن أرسطو قد راعى فيها تقدم كثيراً من تفاصيل مطابقة الكلام لمقتضى الحال كما يعرفها البلاغيون من العرب، وأن جل همهم في الخطابة كان منصرفا إلى الخطيب وما يتصل به، وإلى وسائل الإقناع في الخطابة وأنواعها، وبيان وجوه البلاغة في الكلام.[2]

4 – موضوعات الخطابة:

موضوعات الخطابة كثيرة نذكر منها:

4 – 1 خطب الاستنفار:

داعي ذلك أن الحروب والنزاعات حتى القبلية منها لم تتوقف في هذا العصر الإسلامي، لكن الثغرات القبلية خفت حدتها، بينما خاض المسلمون حروبا عدة سميت بحروب الفتوحات، مثل معركة القادسية ضد الفرس، و معركة نهاوند ضد الروم، ومعركة بلاط الشهداء ضد الفرنسيين أو الأوروبيين في ذلك الوقت، كل هذا لعب دورا في ازدهار خطب الاستنفار، ويضاف إلى ذلك تلك الفتن

[1] – المرجع السابق، ص: 46.

[2] – نفسه، ص: 46، 47.

والنزاعات الداخلية التي نشبت بعد وفاة الرسول بصفة خاصة مثل معركة صفين ووقفة الجمل وحروب الأمويين ضد ابن الزبير وموقعة كربلاء.

يمكن اعتبار خطب النبي ﷺ في استنفار وحث المسلمين على القتال في غزواته العديدة بمثابة النموذج الذي اتخذه الخطباء من القادة والخلفاء في خطبهم.

ومن أشهر خطبه في هذا الموضوع خطبته يوم أحد التي يبدؤها بقوله : « أَيها النَاس أُوصيكُم بِما أَو صاني الله في كتَابِه ، من العملِ بِطَاعته ، والتَنَاهي عن محارِمه ،ثُم إنكُم اليوم بِمنْزِلِ أَجرٍ وذُخْرٍ لِمن ذَكَر الَذي علَيه ،ثُم وطَن نَفْسه علَى الصبرِ و اليقينِ، و الجِد و النَشَاط ، فَإن جِهاد العدوِ شَديد كَرِيه ،قَليلٌ من يصبِر علَيه إلاَّ من عزم لَه علَى رشْده،إن الله مع من أَطَاعه ،و إن الشَيطَان مع من عصاه »[1]

4 – 2 خطب الوعظ والإرشاد:

لقد اشتهر هذا النوع من الخطب عند بعض الحكماء في العصر الجاهلي مثل قس بن ساعدة الإيادي وأكثم بن صيفي، وازدهرت هذه الخطب في العصر الإسلامي واتخذت شكل الدفاع عن القيم الإسلامية الجديدة بدلا من التركيز على الحكمة. وأبرز نموذج لهذا النوع خطبة سحبان بن زفر الوائلي، الذي أدرك الدولة الأموية وأصبح يضرب به المثل في الخطابة والفصاحة والبيان، كما أشار إلى ذلك الجاحظ. [2]

يقول في خطبة مشورة له:« إن الُدنْيا دار بلاَغٍ ، والآخرةُ دار قَرارٍ، أَيها النَّاس: فَخُذُوا من دارِ ممرِّكُم لِدارِ مقَرِكُم، ولاَ تَهتكُوا أَستَارَكُم عنْد من لاَ تُخْفَي علَيه أَسرارَكُم[3]»

[1] – أحمد، زكي صفوت؛ جمهرة خطب العرب ،ج1 ،ص149 –150.

[2] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج:1 ،ص: 6 ،21 ،25 ،48.

[3] – أحمد، زكي صفوت؛ جمهرة خطب العرب، ج2 ،ص472.

4 – 3 الخطبة السياسية:

لقد كان في العصر وجود أثر لهذا النوع من الخطب حيث كانت تُلقى خاصة أمام الملوك في شكل دفاعٍ من مصالح القبيلة وأخلاقها ومآثرها ، أو كمحاولة لاستمالة الملك وإقناعه بوجهة نظر القبيلة. أما في العصر الإسلامي والأموي فقد ازدهر هذا النوع من الخطب كنتيجة حتمية لظهور الأحزاب والتيارات السياسية المتصارعة. ونستمد هنا بنموذج لخطب الخوارج السياسية على خلفية الصراع المرير الذي خاضوه ضد الدولة الأموية ومعظم التيارات الأخرى.

وكان من أشهر خطباء الخوارج الأوائل حيان بن ضبيان السلمي الذي حضر معركة النهروان قال لأصحابه يشرح لهم موقفه السياسي مما كان يحدث « إِنَّه و الله ما يبقَى علَى الدهرِ باق، وما يلْبث اللَيالِي والأَيام، والسنُون والشُهور علَى ابنِ آدم، حتَى تُذيقه الموت، فَيفَارِق الإِخْوان الصالِحِين ،ويدع الدنْيا الَتي لاَ يبكي علَيها إِلاَّ العجزة، ولم تَزلْ ضارة لِمن كَانَتْ لَه هما وشَجنًا، فَانْصرِفُوا بِناَ رحمكُم الله إِلى مصرِنَا، فَلْنَأْت إِخْوانَنَا، فَلْنَدعهم إِلَى الأَمرِ بِالمعروف ،والنَهيِ عنِ المنكَرِ، وإِلَى جِهاد الأَحزابِ، فَإِنَّه لاَ عذْر لَنَا في القُعود ،وولاَتنَا ظَلَمة، وسنَّةُ الهدى متْروكَة، وثَأْرنَا الَذين قَتَلُوا إِخْوانَنَا في المجالِسِ آمنُون ... »[1]

فعنصر التلميح ظاهر في هذه الخطبة، وهو من مرتكزات الخطبة السياسية، إذ إن الخطاب السياسي خطاب ضمني، ومن أمثلة ذلك في هذه الخطبة إحالات على وقائع وأحداث تلك الفترة العصبية من تاريخ المسلمين، وهي فترة فتنة وصراع داخلي، من ذلك:

جهاد الأحزاب، ولأنّنا ظلمة، سنة الهدى متروكة، المجرمون ما يزالون ينبعون بالأمن أو السلام.

بالإضافة إلى ذلك، اعتماد الخطبة على القيم الإسلامية والمبادئ العليا للعقيدة الإسلامية كعنصر حجاجي مهم. يظهر ذلك ليس في المعاني فحسب، كما هو ظاهر في هذا النموذج، بل في المفردات مثل أسماء الأنبياء ـ سيدنا آدم ـ على سبيل المثال.

[1] – المرجع السابق،2ج، ص: 436.

4 – 4 خطب إصلاح ذات البين:

لقد عرف العرب هذا النوع من الخطب في جاهليتهم وكثر تداوله على ألسنتهم نتيجة الحروب والظغائن التي كانت بينهم. وفي العصر الإسلامي والأموي، تحول الموضوع من إصلاح بين القبائل والأفراد إلى إصلاح بين الأحزاب السياسية المتصارعة. وقد سجل التاريخ عدة خطب قيلت بصفة خاصة في موقعة الجمل ومعركة صفين وغيرها من الفتن التي عرفها المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين، كما احتفظت كتب القدماء بخطب إصلاح ذات البين بين الأمويين وخصومهم من الشيعة والخوارج والزبيريين وغيرهم.

4 – 5 خطب الوفود:

لقد عرف العرب في الجاهلية أيضا هذا النوع من الخطب لما درجوا عليه من عادة مخاطبتهم لمستضيفهم ، خاصة من الملوك. لقد كثرت هذه الخطب منذ البداية الأولى لعصر النبوة وازدهرت في الفترات اللاحقة، كما دونت لنا كتب السيرة والتاريخ والأدب عدد كبير منها ومن أمثلة هذا النوع خطبة الأحنف(من أشهر خطباء أهل العراق في عهد الأمويين.) [1]

وفد من أهل العراق على الخليفة معاوية بن أبي سفيان ويقال أن الأذن (الأذن هو الحاجب أو الرجل الذي يقف على باب الخليفة ويأذن للنّاس بالدخول عليه) نبه الوفد إلى أن الخليفة يشترط عليهم أن لا يتكلّم أحد إلاّ لنفسه. فلما وقف الأحنف بين يدي معاوية قال:« لولا عزمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافةً دفَّت ، ونَازِلَةً نَزلَت، ونَائِبةً نَابت، ونَابِتَةً نَبتَت، وكلُّهم بِحاجة إِلَى معروف أَميرِ المؤْمنين وبِره .فقال معاوية: حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الغائب والشاهد ».[2]

فهذا النوع من الخطب، كما نرى ذو مضمون سياسي بالدرجة الأولى وبالرغم من كون موضوع الخطابة تم تحديده مسبقا، كما أشرنا في الخطبة الجاهلية، إلا أنّه قد تبرز أوضاعا جيدة لا يكون الخطيب على دراية بها، وهنا تظهر براعته وحنكته في التعامل مع هذه الأوضاع.

[1] – رامي، منير؛ الخطابة عند العرب، ص: 14.

[2] – أحمد زكي، صفوت؛ جمهرة خطب العرب، ج2 ،ص: 364.

الفصل الثاني

1. فن الخطابة في العهد الأموي.
2. عوامل ازدهارها.
3. أنواعها.
4. السمات البديعية في العهد الأموي.
5. الأساليب الخطابية في العهد الأموي.
6. صور التناص في الخطابة الأموية.
7. الصور الفنية في الخطابة الأموية.
8. تحليل بعض خطب أشهر الخطباء في العهد الأموي.

1 – فن الخطابة في العصر الأموي:

ازداد النثر توسُّعًا بعد أن جاء الإسلام في العصر الإسلامي، وذلك للحاجة إلى المراسلات بعد اتساع الفتوحات الإسلامية، والحاجة كذلك إلى الخطابة من أجل تعليم الناشئين والداخلين إلى الإسلام، ثمَّ تطورت الخطابة وازدهرت في العصر الأموي، إذ افتتن الخطباء فيها، كما عُدَّ العصر الأموي هو النموذج المكتمل للخطابة دون العصور السابقة الأخرى، إذ ازداد عدد الخطباء ازديادًا بالغًا، وتعدّدت طوائفهم ومذاهبهم الفكريّة، فكان لكل حزب من الأحزاب خطباؤه الخاصين، وكان الخطيب الأموي يتعمّد إلى استخدام أساليب خاصة من أجل التأثير في عواطف الجمهور وتفكيرهم كحُسن الحلية اللفظية من الطباق، والجناس، والسجع، ومن ثمَّ أصبحت الخطابة فنًا عمليًا وإصلاحيًا، وبه يستتبع الخطيب هدفًا تعليمًا مهمًا.[1]

يقول أحمد الهاشمي :(ولما حدثت فتنة بين المسلمين بعد مقتل عثمان ﷺ ،وافترقوا إلى عراقيين بزعامة علي بن أبي طالب ﷺ وشاميين بزعامة معاوية بن أبي سفيان ،ولكل منهم دعوة يؤيدها ورغبة يناضل عنها ، في تلك الحرب الشعواء التي لم ينكب الإسلام بمثلها ، ظهر في كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم ، ولا يشق غبارهم وعلى رأس العراقيين شيخ الخطباء الإمام (علي بن أبي طالب) وعلى رأس الشاميين (معاوية بن أبي سفيان)،ولم تعدم كل دعوة من خطباء يؤيدون دعوتها بمأأوتوا من البلاغة في الخطابة والفصاحة والبيان والخطابة وصلت في هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه من اللسان العربي حتى ممن يعد عليهم اللحن، ولم تسعد العربية بكثرة خطباء ووفرة خطب مثلما سعدت به في هذا الصدر الأول، إذ كان القوم ورؤساهم عربا خلصا يسمعون القول فيتبعون أحسنه

[1] – ينظر: عيسى، متقى زاده؛ فن الخطابة في ضوء الحياة الاجتماعية في العصر الأموي، ص: 5.

ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم من اعتجار العمامة ،والاشتمال بالرداء واختصار المخصرة والخطبة من قيام.[1]

2 – عوامل ازدهار الخطابة في العصر الأموي :

ازدهر فن الخطابة في العصر الأموي، إذ تطوّر تطورًا ملحوظًا، ويُلاحظ ذلك بعدد الخُطب والخطباء آنذاك، كما كان لازدهار الخطابة عوامل وأسباب أدت إلى ذلك، ومن تلك العوامل ما يأتي:

عوامل سياسيّة: قامت الدولة الإسلاميّة على أنقاض فتنة عثمان، إذ انتهت إلى حروب بين علي ومعاوية –رضي الله عنهما–، فظهر جيش الخوارج وحارب بني أمية[2]، ومن هنا تعددت الفرق وزادت الأحزاب السياسية المعارضة، وكثر مشعلوا الحروب الداخليّة والفتن، مما جعل الأمر يحتاج إلى الدعوة السريّة والخطابة العلنيّة، إذ كانت هذه الأحزاب والثورات تستعين بالخطباء من أجل النهوض والتخفيف من حِدة الفتن.[3]

عوامل دينية: كان للسبب السياسي دوره في العامل الديني، وذلك لأن الخطباء هم من المسلمين الذين اقترنت خطبهم بالدين، إذ كان في كل بلد إسلامي مدرسة دينية، تضم الخطباء والعلماء المسلمين، الذين يتحاورون ويتناقشون في أمور دينية، إذ تُصبح هذه المواضيع بمثابة قصص الوعظ والإرشاد فتُلقى على شكل خطابة، ومن ثم أصبح الأحزاب السياسية تتخذ هذا النوع من الخطابة من أجل الدعوة الإسلامية، إذ زاد عدد الخطباء وحوت كتب الأدب بمواعظهم وخطبهم المختلفة.[4]

عوامل اجتماعية وعقلية: بدأ العقل العربي في العصر الأموي بالاستفادة من الثقافات الأجنبية الأخرى، ممّا نهض بقوة الجدل والحجاج في أساليب الخطابة، إذ كثرت المعرفة وزادت المعاني فصار

---

[1]– السيد أحمد، الهاشمي؛ جواهر الأدب ج2 ط السابعة والعشرون المكتبة التجارية الكبرى مصر سنة 1969 ص: 109.

[2]– ينظر: محمود شاكر أبو فهر، العهد الأموي، صفحة 9–10.

[3]– ينظر: حسين، علي الهنداوي؛ أشكال الخطاب النثري في العصر الأموي، ص: 34–37.

[4] – نفسه، ص: 38–40.

الخطيب أكثر قدرة في التصرف بالألفاظ واختيار ما يناسبه، ومن ثم أصبح الخطباء يُدخلون الخطابة في كافة ظروفهم وقضاياهم، أي في الأحزاب السياسية، وفي المعتقدات الدينية، ومن ثمَّ يتناقشون فيها في المساجد والطرقات والأسواق، ومن هنا جاء الجاحظ فخُصّ العرب بفن الخطابة.[1]

3 – أنواع الخطابة في العصر الأموي:

الهدف من فن الخطابة هو استمالة الآخرين إلى رأي أو موقف، لذلك فقد لا يخلو مجتمع من هذا الفن، وذلك طبقًا للظروف والمواقف التي تستدعي ذلك، ومن هنا فقد كان لكل موقف وقضية نوع خاص من الخطابة، إذ توزعت أنواع الخطابة كما يأتي:

أ–الخطابة السياسية والحربية: يُعد هذا النوع من الخطابة السياسية في العصر الأموي هو الأهم، فله الأثر الكبير في التاريخ العربي وتدوين أحداثه، إذ تكون الخطابة السياسة على شكل كلام شفاهي يُلقى أمام الجمهور، فيتناول الخطيب الحديث عن قضايا الحُكم، وما يتعلق به، كما عُدّت الخطب السياسية بأنها الأداة المثلى القادرة على التأثير في الجمهور خاصة في أوقات الحرب والسلم، كما كان كل حزب سياسي يتخذ الخطابة لنقد خصومه، أو لبيان نظرته السياسية وآرائه، ومن ثمَّ استمالة الناس إليها، لذلك فقد كان لهذه الحزب والمذاهب السياسية دورها في ازدهار الخطابة، إذ كان هذا الاختلاف يؤدي إلى حدوث حروب ونزاعات أدت إلى ظهور الخطابة الحربيّة السياسي.[2]

ب – الخطابة الدينية: أدى ظهور الإسلام إلى الاعتناء بفن الخطابة وتطوره، وخاصة أنه أعلى من قدرها فجعلها ركن من أركان يوم الجمعة، فهي ذات موضوع واحد يسعى إلى توحيد المسلمين، وتذكيرهم بالخير، وتحذيرهم من الشر والفتن، فكانت الخطابة الدينية عند الأمويين قد تطورت بسبب ظهور الفرق الدينية[3]، إذ كان كل خطيب يدعو لمذهبه بطريقته الخاصة، فبرزت نزعة الزهد والوعظ والإرشاد، مما أدى إلى تقسيم موضوعات الخطب الدينية إلى أكثر من نوع، ومنها: الوعظ الديني،

---

[1]– المرجع السابق ، ص: 39-42.

[2]– مُحَمَّد أحمد ضاعن الخوالدة، تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي، صفحة 32-35. بتصرّف.

[3]– ينظر: وسيلة، مرجاجو ونزة عواس؛ الخطابة في العصر الأموي دراسة فنية وفكرية، ص: 41-43.

وخطب الجمعة، وخطب العيدين، وخطب الاستسقاء، إضافة إلى خطب القصص الدينية، والمناظرات الدينية، وهنا فقد كان للخطابة الحظ الأوفر في مجال الدين والهداية في العصر الأموي.[1]

ت – الخطابة الاجتماعية: عُرفت الخطابة أنها عادة ما تُلقى في مجالس الخلفاء والامراء، وفي الأماكن العامة والأسواق، ذلك لتؤدي أحد الأغراض المتعلقة بالحياة الاجتماعية عامة، إذ كانت تُعبر عن أحوال المجتمع وأنشطتهم، ومن ثمَّ فقد تعدّد مضامينها تبعًا للظروف الراهنة في العصر الأموي، ومن هذه المضامين خطب المحافل والوفود، وهي الخطب التي تلقى في مجالس الولاة والأمراء للحديث عن قضايا المجتمع العامة، إضافة إلى خطب النكاح والتي كانت تقام في العلاقات والمناسبات العامة، إضافة إلى ظهور خطب التأبين وهي الخطب التي تلقى في المقابر أو مجالس العزاء، وبذلك يظهر أن الحياة الاجتماعية في العصر الأموي أدت إلى ظهور أنواع خطب اجتماعية قيّمة ومتنوعة. [2]

4 – السمات البديعية في الخطابة في العصر الأموي:

تزخر نصوص الخطابة في العصر الأموي بعلم البديع، إذ كانت تصدر المحسنات اللفظية والمعنوية في خطب الخطباء، فلا تؤثر على صحة المعنى ولا جودته، ومن هذه السمات البديعية ما يأتي:[3]

أ – السجع: عُني الخطيب في نصوصه بالسجع، إذ يضفي على النص قيمة موسيقية، والسجع هو تواطؤ الفواصل في الخطبة في حرف واحد، والذي يؤدي إلى تماثل إيقاعي في نهاية كل جملة ومقطع، إذ يؤدي الخطيب التوازي في وصفه للأمراء والخلفاء، من خلال مدحهم بجمل مسجوعة وقصيرة، إذ يعطي الجمل ترابطًا موسيقيًا، كما تسهم هذه الجمل المسجوعة إلى جذب اهتمام السامعين، إذ يعد هذا التوازي اللفظي من أبرز النتائج التي تُجنى من الخطب.[4]

---

[1]- ينظر: مُحَمَّد، أحمد ضاعن الخوالدة، تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي، ص: 38-40.

[2]- نفسه، ص: 40-42.

[3]- نفسه، ص: 74-77.

[4]- نفسه، ص: 77-79.

ب – الطباق: يُعد الطباق ظاهرة أسلوبية، وهذه الظاهرة تعتمد على الانفتاح على المعاني المتضادة، وجمعها في نسق تركيبي يحمل علاقات دلالية، وهو يؤدي إلى تؤكيد المعاني، وتثبيتها في نفس السامع، إضافة إلى تحسين النظم والنثر من خلال تزيين اللفظ وتطويره، كما يأتي التضاد غالبًا في خطب التهديد والوعيد، وذلك من خلال ذكر الفعل وضده، فالبضدّ تتمايز الأشياء وتظهر تأثيرها، وبذلك فقد انتشر الطباق في أغلب الخطب الدينية والمختلفة في العصر الأموي، ذلك لأنّ هدف الخطبة الحقيقي هو الوعظ والإرشاد، ولا بد من هذا الهدف أن يذكر الخطيب الشيء وضده، والأمر الحسن وما يقابل من باطل، وذلك من أجل هداية الناس وإرشادهم.[1]

ت – التكرار: يعتمد التكرار على الإعادة، أي لفظ الكلمة أكثر من مرة، وذلك لغرض التأكيد أو التنبيه أو التهويل، إذ انقسم التكرار إلى ما هو موجود باللفظ والمعنى، وما هو موجود في المعنى دون اللفظ، كما استخدم الخطباء الأمويون التكرار في الكثير من خطبهم، وذلك من أجل تعظيم الشيء الذين يخطبون لأجله، أو من أجل تهويل الناس من بعض القضايا، وخاصة القضايا المتعلقة في الحكم والدين، كما يأتي التكرار من أجل التأكيد على الجمهور في الاستماع والهداية.

ث – التورية: يُقصد بالتورية أن يلفظ المتكلم لفظًا مفردًا ولكنه يقصد به أكثر من معنى، وهذه المعاني إما أن تكون قريبة لدى المستمع ولكنها غير مقصودة، وقد تكون بعيد عن المستمع ومقصودة، ومن ثم فقد جاءت الخطب الأموية زاخرة بهذا الأسلوب، كما استخدمه الخطباء من أجل التحكم باللفظ ومعناه، إذ يختصر الخطيب المعنى القريب ذلك لأنه غير مقصود، بينما يشير إلى المعنى البعيد وغير الظاهر لدى المستمع فيكون هو المقصود، وهذا الأسلوب من الأساليب التي تجذب الجمهور لاستماع الخطبة والتركيز بها، لمعرفة ما يقصده الخطيب في خطبته.

ج – الازدواج: يُقصد بالازدواج بأنه هو تجانس الألفاظ المتجاورة، إذ اشتهر هذا الأسلوب في خطب الأمويين، كأن يأتي الخطيب ويعتمد خطبته كاملة على الجمل القصيرة، وهذه الجمل هي عبارة عن كلمتين مزدوجتين، إذ زخرت الخطبة الأموية بذلك، والسبب أن الازدواج هو أسلوب فني يؤدي إلى

[1]- المرجع السابق، ص: 81-83.

ترابط النصوص الأدبية وتماسك أفكارها وموضوعها، إضافة إلى ما يضفيه من قيمة أسلوبية عالية للنص الخطابي الأموي، وهذه الأساليب هي تدل على قدرة الخطيب، وإبداعه، ومدى تمكنه من التأثر في المستمع وجذب انتباهه وحواسه.[1]

5 – الأساليب الخطابية في العصر الأموي:

يُعد العصر الأموي من أقرب العصور إلى النبوة وإلى الخلفاء الراشدين والأمراء علمًا وأدبًا وخلقًا، فكان لا بد أن يظهر جيد المنثور آنذاك، وخاصة الخطابة، والتي تأثرت بالمؤثرات الدينية والسياسية والاجتماعية، ولعل من أبرز الأساليب الخطابية الظاهرة آنذاك هي:[2]

أ – الأساليب الخطابية لدى خلفاء العصر الأموي: برز في العصر الأموي الخطباء أصحاب البلاغة والفصاحة، إذ تنوعت خطبهم وتعددت أهدافها وأساليبها، فكان لكل خطيب طريقته وأسلوبه المتبع في خطبته وذلك تبعًا للسبب الذي ألقيت من أجله، ومن أشهر أنواع خطب الخلفاء هي خطبة الخليفة معاوية بن أبي سفيان، والتي ألقاها حين حضره الموت، وكان أسلوبه في هذه الخطبة أنه بدأها بالنصيحة، ووجّهها لعامة الناس وكافة المستمعين، كما خص منها لابنه يزيد، وفي آخر الخطبة وجّههم إلى تركه بعد موته والتركيز على أمورهم، وفي نصّ الخطبة فهي لم تكن تخلو من السجع والتكرار والوعظ والإرشاد، إذ كان يظهر في أسلوب معاوية التبليغ والتنبيه، وذلك مما كان يرمي له في جمل خطبته وألفاظها، وهذا الأسلوب ما يتخذه اغلب الخلفاء في خطبهم.[3]

ب – الأساليب الخطابية لدى ولاة العصر: الأموي تأثرت الخطابة في العصر الأموي بالمؤثرات الخارجية السائدة آنذاك، إذ ارتبطت هذه المؤثرات بالأحداث التابعة لقيام الدولة الأموية، فاعتنى الخطباء بتحسين خطبهم، وبصناعة الكلام، فكان كل خطيب يُعبر عن حزبه ورأيه وفرقته، كما اعتنوا بأسلوب السجع، فبالغوا بالتأنق فيه، ذلك التأنق الذي يوافق الموقف الذي يتخذونه فيه والمجلس

[1]– مُحَمَّد، أحمد ضاعن الخوالدة؛ تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي، ص: 84-85.

[2]– نفسه، ص: 45-47.

[3]– نفسه،ص: 50- 52.

الذي يقيمون داخله، وتعد خطبة زياد بن أبية الخطبة البتراء هي النموذج الشامل لهذا النوع من الأساليب الخطابية، إذ كان سبب الخطبة حين وُلي البصرة لمعاوية بن أبي سفيان، فاستهل الخطبة ببيان غواية المجتمع البصري وضلالتهم، إذ كانت ظروف المجتمع هي التي تحكمت بأسلوب الخطبة ومعانيها وألفاظها، واختتامها بأسلوب التهديد والوعيد الذي يشوبه الترغيب.[1]

ت – الأساليب الخطابية لدى الخوارج والشيعة يُعد الخوارج والشيعة مكونين مُهميين في تطور الخطبة السياسية وازدهارها، إذ كان الخلفاء الأمويون يهتمون بالقضاء على هاتين الحركتين، ومن هنا انصبت خطب الخوارج والشيعة بالتحريض ضد الأمويين والمحاولة بكسب ود الناس وتأييدهم، فكان لكل خطيب أسلوبه الأدبي الخاص في كل مجال، إذ كان أسلوب الخطبة يتميز بالقدرة على الإقناع، وبالذكاء، وبالتفقه بالقرآن الكريم من أجل التأثير بالجمهور، ومن أشهر خطباء الشيعة المختار الثقفي والذي كان خطيبًا مميزًا، اشتهرت خطبته التي كان غرضها بالحديث عمّا دار بين الخوارج وبني أمية، إذ تميزت بقصر الجمل، وكثرة المحسنات البديعية والصور الفنية، إضافة إلى التأثر بالقرآن الكريم، فكان هذا الأسلوب هو الغالب على خطب الخوارج والشيعة.[2]

6 – صور التناص في الخطابة الأموية :

تُعد ظاهرة التناص من الظواهر التي تساعد بافتتاح النصوص على بعضها البعض، وهذه الظاهرة هي ظاهرة قديمة، ولكنها برزت بشكل ملحوظ في الخطابة في العصر الأموي، فكانت صور التناص تتوزع كما يأتي:

أ – التناص الديني في الخطابة الأموية: وهو نوع من التناص أدى إلى التأثير في الخطابة الأموية، وإعطائها رؤية جديدة للأحداث، وذلك التناص يعتمد على تداخل النص الأصلي مع نصوص دينية

[1] – مُحَمَّد، أحمد ضاعن الخوالدة؛ تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي، ص: 55-56.

[2] – نفسه، ص: 63-65.

من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة والقصص الدينية، بحيث تندمج هذه النصوص مع سياق الخطبة وهدفها.[1]

التناص الأدبي والتاريخي في الخطابة الأموية: ويعتمد هذا التناص بتداخل النص الأصلي للخطبة مع نصوص أدبية قديمة، أو أبيات شعريّة، أو مع جمل نثرية، إذ تكون هذه النصوص منسجمة مع النص الأصلي، ودالة على فكرة الخطبة، وموضحة لهدف الخطيب وغرضه من الخطبة.

7 – الصور الفنية في الخطابة الأموية :

تُعد الصور الفنية ممن أهم أدوات التنويع في النص الأدبي، كما أنها لا تعد شكلًا من أشكال الزينة، بل هي عملية خلق فني، تُكسب النص كيانه وأهميته وإبداعه، ومن أهم أدوات الصور الفنية في الخطابة:

أ – التشبيه: التشبيه وسيلة لتوضيح الصفة المراد وصفها للموصوف، وهي أن تثبت للمشبه حُكمًا ووصفًا من أوصاف المشبه به، إذ اشتهر خطباء العصر الأموي بالتشبيه، وخاصة في الأساليب الخطابية للخلفاء الأمويين، ومنها: خطبة عبد الملك بن مروان في مكة.

ب – الاستعارة: تُعد الاستعارة من الأركان الأساسية للخطابة، وذلك لِما تُحققه من تعبير صادق للمشاعر، وعمق الصورة التي تجيش بها نفس المستمع، كما أن الاستعارة تدل على براعة الخطيب، وهي تظهر واضحة في كثير من خطب الأمويين، وخاصة خطبة الحجاج عن توليه زمام الأمور في الكوفة.

ت – المجاز: إنَّ المجاز يعتمد على نقل اللفظ من حقيقته إلى كلمة أخرى، إذ اشتملت الخطب الأموية على صور المجاز، ومنها خطبة قطريّ بن الفجاءة والذي استخدم المجاز ببعض الكلمات الدالة

[1]- المرجع السابق، ص: 68-70.

على معنى مخالف للحقيقة، إذ وصف حال الدنيا المتقلب فاستخدم كلمة ظهرًا لوصف الجفاء التي تُبديه الدنيا للناس، وغيرها من الكلمات المجازية التي انتشرت في خطبته وفي كافة الخطب الأموية.[1]

ث – الكناية: اشتهرت الكناية في الخطبة الأموية، فكان الخطيب يريد إيضاح معنى من المعاني وإثباته ولكنه لا يُصرح باللفظ الحقيقي الموضوع له في اللغة، وإنما يأتي بمعنى آخر يجعله دليلًا عما يريد إثباته، إذ تعتمد الكناية على التلميح وهو الأوقع بالنفس من التصريح، ومن أشهر الخطب التي وردت في الكنايات هي خطبة طارق بن زياد.[2]

7 – أشهر الخطباء في العصر الأموي: من هم أبرز الخطباء الذين عُرفوا بفصاحتهم الخطابيّة؟ ظهر في العصر الأموي عدد كبير من الخطباء، والتي انقسمت إلى جماعات تنتمي كل منها إلى أسر مختلفة، ومن أشهر الخطباء في العصر الأموي هم:[3]

أولا: معاوية بن أبي سفيان[4]:

مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأول خليفة عليها، تولى على الأردن ثم على دمشق. حارب علي بن أبي طالب في صفين بعد مقتل عثمان بن عفان، وصارت إليه الخلافة بعد التحكيم، كان فصيحا وداهية في السياسة، جعل الخلافة وراثية إذ عهد بها إلى ابنه يزيد.[5]

أ – خطبة معاوية بن أبي سفيان:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ وَزَمَنٍ شَدِيدٍ كَنُودٍ يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً وَ يَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا وَ لَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا.

---

[1]- مُحَمَّد، أحمد ضاعن الخوالدة؛ تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي، ص: 87-89.

[2]- نفسه، ص: 91-93.

[3]- لعاني غانية، بلاغة النثر في العصر الأموي، ص: 24-26.

[4]- معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي(20ق.هـ – 60ق.هـ/ 603م – 680م)

[5]- ينظر: منير، رامي؛ الخطابة عند العربن دار الفكر العربي، بيروت – لبنان – ط1 سنة2005، ص: 54.

وَ النَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ وَ كَلَالَةُ حَدِّهِ وَ نَضِيضُ وَفْرِهِ وَ مِنْهُمْ الْمُصْلِتُ سَيْفِهِ لِسَيْفِهِ وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَ أَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ وَ لَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً وَ مِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عِوَضاً وَ مِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ وَ لَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَ قَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَ شَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ وَ زَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ وَ اتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُئُولَةُ نَفْسِهِ وَ انْقِطَاعُ سَبَبِهِ فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ وَ تَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ وَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَ لَا مَغْدًى وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ وَ أَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ وَ خَائِفٍ مَقْمُوعٍ وَ سَاكِتٍ مَكْعُومٍ وَدَاعٍ مُخْلِصٍ وَثَكْلَانَ مُوجَعٍ قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ وَ شَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ وَ قُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا.

فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَظِ وَ قُرَاضَةِ الْجَلَمِ وَ اتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ وَ ارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ.[1]

ب – تحليل الخطبة:

روى هذه الخطبة شعيب بن صفوان قال: أن معاوية لما اشرف على الموت جاءه نفر من قريش يستبشرون بوفاته ويأملون خيرا، فسأل معاوية غلاما له عمن بالباب؟ قال: نفر من قريش جاؤوا يتباشرون بموتك، فقال: ويحك !، ولم؟ قال: لا أدري. وهو يدري ذلك أن أبناء عمومة معاوية من القرشيين المنافسين له يرجون منصبه ويكنون له العداوة لذات السبب مع ما وجدوه من إقصائهم ومجالدتهم، غير أن الغلام أجاب بلا أدري لحسن تخلصه. قال معاوية: فوالله مالهم بعدي إلا من يسوؤهم، وأذن للناس فدخلوا، فارتجل معاوية وخطب، فحمد الله وأثنى عليه وأوجز لإقباله على متن الخطاب ثم قال: أيها الناس تنبيها ونداءً وإن قالها للتوكيد، وذلك براعة منه في الاستهلال، أصبحنا

[1] – ينظر: منير، رامي؛ الخطابة عند العربن دار الفكر العربي، بيروت – لبنان – ط1 سنة2005، ص: 56.

في دهر عنود فذكر حال ذاك الزمن وفي كلامه مايبعث على النغمة عليه، مبينا للسامعين ممن حضر ومحذرا، ثم ذكر ما آلت إليه طبائع الناس، وتعلقهم بالدنيا وخراب ميزان العقل لديهم والخلق في قوله يعد فيه المحسن مسيئا موحيا بطرف من القول إلى سامعيه بأنهم هم المرادون بقوله، ثم يصف من أراد من الناس التجارة فخسر لبيعه الدنيا بالآخرة لحرصهم على ما لم يكن لهم يوما، ولن يكون حسبه من شأن الخلافة وعلى أصناف من رضي بالذلة واستكان، ومنهم من جابه وحارب فانهزم، ومنهم من ساير وواكب يتحين الفرصة لأمره ومنهم من زهد في الدنيا، وهذا فيما يرى خير ما يذهب إليه الواحد منهم، ويعود إلى التحذير من الدنيا من جهة، ومن ورائها الخلافة لبني أمية اتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم.

يقول الجاحظ: وفي هذه الخطبة أبقاك الله ضروبا من العجب، منها أن الكلام لا يشبه السبب الذي دعاه من أجله معاوية، ومنها أن هذا المذهب تصنيف الناس وفي الإخبار عما هم عليه من القهر والإذلال ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي كرم الله وجهه ومعانيه وحاله منه بحال معاوية. ومنها أنا لم نجد معاوية في حالة من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ولا يذهب مذهب العبّاد.[1]

اشتهر معاوية بن أبي سفيان بخُطبه الكثيرة، وقدرته البالغة في التأثير بالمستمعين من خلال أسلوبه ومعانيه، كما كانت أغلب خُطبه تدور حول مواضيع التحريض على الجهاد، لذلك فقد غلب على أسلوبه الإنشاء الطلبي والخبري إضافة إلى المحسنات البديعية الأخرى.[2]

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين تح: عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي مصر – القاهرة – 1998م، ط: 07؛ ج2، ص: 59.

[2]- ينظر: لعاني غانية، بلاغة النثر في العصر الأموي، ص: 28-30.

ثانيا: زياد بن أبيه[1]:

أ – نصّ الخطبة البتراء:[2]

أمّا بعد: فإنّ الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والفجر الموقِد لأهله النار، الباقي عليهم سعيرها: ما يأتي سفهاؤكم، ويشتمل عليه حُلماؤكم من الأمور العظام؛ ينبُت فيها الصغير، ولا يتحاشى منها الكبير؛ كأن لم تسمعوا بآيِ الله، ولم تقرؤوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعدّ الله من الثواب الكبير لأهل طاعته، والعذابِ الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمد الذي لا يزول. أتكونون كمن طَرَفت عينَه الدنيا؟ وسَدّت مَسامعَه الشهوات؟ واختارت الفانية على الباقية؟ ولا تَذكرون أنّكم أحدَثتم في الإسلام الحَدث الذي لم تُسبَقوا به، مِن تركِكم هذه المواخير المنصوبة، والضعيفة المسلوبة، في النهار المبصِر، والعَدد غير قليل؟ ألم تكن منكم نُهاة تَمنع الغُواة عن دَلْج الليل، وغارة النهار؟ قرّبتم القرابة، وباعدتم الدِّين. تعتذرون بغير العُذر، وتُغَطّون على المختلِس. كلّ امرئ منكم يذبّ عن سفيه، صَنيعَ من لا يخاف عقاباً، ولا يرجو مَعاداً. ما أنتم بالحُلماء، ولقد اتّبعتم السفهاء، ولم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم، حتى انتهكوا حَرم الإسلام، ثم أطرَقوا وراءكم كُنوساً في مَكانس الرِّيَب. حرام عليّ الطعام والشراب، حتى أسوِّيها بالأرض هدماً وإحراقاً".

"إني رأيت هذا الأمر لا يَصلُح إلاّ بما صلَح به أوّلُه: لين في غير ضعف، وشدّة في غير جَبْرية وعُنف. وإنّي أقسم بالله! لآخذنّ الوليّ بالمَولَى، والمقيمَ بالظاعن، والمقبِلَ بالمدبِر، والصحيح منكم بالسقيم، حتى يَلقى الرجل منكم أخاه فيقول: "أُنجُ سعد! فقد هلك سعيد!"، أو تستقيمَ لي

[1]– هو زياد بن أبيه, كان كاتباً لأبي موسى الأشعري ونبغ في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وفي عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب تولى زياد ولاية فارس وكرمان والبصرة، وفي عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ولاه البصرة والكوفة وكان ذلك سنة 44 هـ.

[2]– سبب تسميتها بالبتراء؛ لأنه لم يبدأ بحمد الله والثناء عليه وهو الأسلوب الدارج في استهلال الخطب بمناسبة اختيار معاوية بن أبي سفيان زيادًا واليًا على البصرة، وكانت معقلاً للخارجين على الخلافة الاموية ولهذا فقد كانت الفتن والثورات على بني أمية تنبع منها، فلما وصل زياد إلى البصرة صعد المنبر وألقى هذه الخطبة.

قَناتُكم. إنّ كَذِبة المنبر بَلقاء مشهورة؛ فإذا تعلّقتم عليّ بكِذبة فقد حلّت لكم معصيتي. وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن، وقد أحدثنا لكلّ ذنب عقوبة: فمن غرّق قوماً غرّقناه، ومن حرّق على قوم حرّقناه، ومن نَقب بيتاً نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبراً دفنّاه حيّاً فيه. فكفُّوا عنّي أيديَكم وألسنتَكم، أكفف يدي وأذاي. لا يَظهر مِن أحد منكم خلاف ما عليه عامّتكم، إلاّ ضربتُ عُنقه. وقد كانت بيني وبين أقوام إِحن، فجعلتُ ذلك دَبَر أذنيّ، وتحت قدَميّ؛ فمن كان منكم مُحسناً فليزددْ إحساناً، ومن كان مُسيئاً فليَنزع عن إساءته. إنّي لو علمت أنّ أحدكم قد قتله السّلّ من بغضي، لم أكشف له قناعاً، ولم أهتك له سِتراً، حتى يُبدي لي صفْحتَه؛ فإذا فعل لم أناظره. فاستأنِفوا أموركم، وأعِينوا عليّ أنفسكم؛ فرُبّ مبتئسٍ بقدومنا سيُسرّ، ومسرور بقدومنا سيَبتئس!"

"أيّها الناس! إنّا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة – نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفَيء الله الذي خوّلنا ؛ فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببْنا، ولكم علينا العدل فيما وُلّينا. فاستوجِبوا عدْلنا وفيْئنا بمُناصحتكم لنا. واعلموا أنّي مهما قصّرت، فإنّي لا أقصِّر عن ثلاث: لست محتجِباً عن طالب حاجة منكم، ولو أتاني طارقاً بليل، ولا حابساً رزقاً ولا عطاءً عن إبّانه، ولا مجمِّراً لكم بَعثاً . فادْعوا الله بالصلاح لأئمّتكم؛ فإنّهم ساستكم المؤدِّبون لكم، وكهْفكم الذي إليه تأوُون، ومتى تَصلُحوا يصلُحوا. ولا تُشربوا قلوبكم بُغضَهم، فيشتدّ لذلك غيظُكم، ويطول له حِرمانكم، ولا تدركوا حاجتكم، مع أنّه لو استجيب لكم، لكان شراً لكم. أسأل الله أن يُعين كلاً على كلّ".[1]

ب – تحليل الخطبة:

هذه الخطبة يراها القارئ لها بمثابة إعلان حكم عرفي في العراق فأخذ الولي بالمولى والمقيم بالضاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح في جسمه بالسقيم، أمر ليس جاريا على القانون الشرعي الذي يقصر المسؤولية على المجرم ،وإنما ذلك شيء يلجأ إليه الطغاة ،وخاصة عند اضطراب الأمن

[1]– مُحَمَّد عبدالمنعم؛ خفاجي، الحياة الأدبية في عصر بني أمية، دار الكتاب اللبناني – بيروت– ط2، سنة 1980،ص:259.

لإرهاب الناس وتهديدهم، وقد سن زياد في خطبته عقوبات لم يسنها الإسلام فمن ذلك ما سنه للجرائم المحدثة كقوله (من نقب عن بيت نقبنا عن قلبه ،ومن نبش قبر دفناه فيه حيا)ومن ذلك عقوبته للدلج –أي السائر بالليل –وقوله من أحرق قوما أحرقناه ...كل ذلك من مظاهر الحكم العرفي الذي أعلنه زياد في البصرة ، حتى صار يغقب على الظنة ، ويأخذ بالشبهة وهذا ليس من الشريعة الأسلامية في شيء ، وكان يقسو على الخوارج والشيعة والناقمين عليه وعلى بني أمية ، قسوته على المجرمين وقد خافه الناس خوفا شديدا فاستتب الأمن ، وهدأت أحوال العراق الثائرة ، وسكنت الفتن و الثورات ودخل الناس في طاعة بني أميةرغبا ورهبا.والخطبة كما يذكر عبد المنعم خفاجيقوية الأسلوب جزلة الألفاظ ،يعتمد فيها الخطيب على التأثير الخطابي أي البرهان الخطابي وعلى السجع أحيانا ،ليسهل حفظها وروايتها، وعلى قصر الفقرات، وعلى أسلوب التهديد والوعيد الذي ملئت به الخطبة ،وفيها كذلك روح الثائر الأدبي ببلاغة القرآن الكريم واضحة وخطبة ووحدة الخطبة ظاهرة ، فهي في موضوع سياسي واحد معروف ، ثم أنها من بدايتها غلى نهايتها تنصب في الغرض الذي قيلت لأجله، فلا حشو ولا إغراب ولا حوشية،ولا ابتذال.

وإنما هي البلاغة الطيعة، والفصاحة السلسة، التي تجري كما يجريالماء في النهر: لينا في شدة وهدوءا في ثورة واطرادا في تتابع دون التواء أو انقطاع أواستطراد أو عي أو ضعف وألفاض الخطبة ومقاطعها الصوتية ذات تأثير قوي ،وعلى الملة فإن الخطبة تمثل صورة لسياسة زياد وساسة الدولة حيال خصومها والعابثين بالأمن فيها في أول عهد معاوية وبدء جكم الأمويين لترسيخ أقدامهم في الطولة وضبط أمورها ضبطا محكما .وقصارى القول أن زيادا كان كما قيل فيه بحق وكما تمثله خطبته : من ذوي الأحلام الوافرة ،والأذهان الحاضرة واللسان الفتيق ،كما كان من أقوى العمد التي قام عليها عرش بني أمية.[1]

[1] – المرجع السابق، ص:260.

بدأ الخطيب خطبته بلا مقدمة وإنما اقتحم الموضوع اقتحاما وهو يقرع أهل البصرة ويعنفهم ويصفهم بالجهل والظلالة وقد تميزت هذه الخطبة بالظواهر الأسلوبية التالية:

1. قصر الجمل في مطلع الخطبة والازدواج وهي سمة عامة فيها تلوين إيقاعي ومقابلة خفية (دلج الليل وغارة النهار).
2. الاستفهام التعجبي والإنكاري والتقريري الذي كان من أبرز الخصائص الأسلوبية حيث ترتفع وتيرة الإنفعال في هذه الخطبة حتى تصل ذروتها (ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار ؟!)
3. اللوم والتقريع الواثق للأفعال ونتاجها وعن طريق القسم: وإنّي أقسم بالله! لآخذنّ الوليّ بالمولَى. سوق الحكمة والأمثال((انج سعد فقد هلك سعيد) وتمكين الكلام من حديث الرسول (إني رأيت آخر هذه الأمة لايصلح إلا بما صلح بها أولها(
4. استخدم أسلوب الشرط في معرض التهديد والوعيد وقد جاءت هه الأساليب المتتابعة لتركز وتؤكد مبدأ التهديد (فمن غرّق قوم غرّقناه)
5. استعمال أساليب التوكيد بكثرة وبعث الأمل في النفوس عن طريق الترغيب والوعد بالمكافأة.

ويعد التأكيد من الظواهر الأسلوبية التي لجأ إليها "زياد" في الخطبة حرصا علي تثبيت موقفه، والأخذ بزمام الأمور، والقضاء علي الفساد، ففي الفقرة الأولي يقول: "فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء " وإن وردت مجردة لأنه يصف واقعهم. وفي بداية الفقرة الثانية يقول "إنى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله" ويقول متابعا التأكيد بإن والقسم ولام القسم ونون التوكيد "وإنى أقسم بالله لآخذن الولي بالمولي."

هذه المؤكدات وردت في مقام إقرار ما يشبه الدستور الآن، ودستوره متشدد بعيد عن المألوف، ولذلك شعر أن المعارضة ربما تكون قوية فقطع عليهم الطريق بهذا الأسلوب القوى المحصن بالمؤكدات. ويختم الخطبة بالتأكيد بالقسم وبإن قائلا في تحد ونبرة قاسية :"وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة."

كما أكثر "زياد" من الجمل الشرطية، ولذلك المنحى الأسلوبي صلة بجو الخطبة وما يجرى قبلها وبعدها، ولها صلة بما يهتم به هذا الحاكم الجديد، وهو يحاول أن يرسى مبدأ الثواب والعقاب، وجاء أسلوب الشرط والجواب تجسيداً فنيا لدستور الحكم الجديد، فلا ثواب إلا بإحسان ولا عقاب إلا بإساءة، وقد أكثر "زياد" من أسلوب الشرط في القسم الثاني والثالث من الخطبة لأنهما يحددان منهج الحاكم الجديد "واسلوب الشرط هو أنسب صيغة للتحدث في مثل هذه المواقف.

وجمل الشرط تحدد مبادئ "زياد" التى ألزم بها نفسه تجاه أهل البصرة يقول :"فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم أكفف يدى وأذاي"

"فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا"

"ومن كان مسيئا فلينزع عن إساءته"

واشتملت الخطبة علي مبادئ الحكم وإصلاح الرعية في ظل منهج إسلامي يقر المساواة وينشد العدالة، ويندد بالفسوق، ويطارد العصاة، ويبتر المفسدين، ويحاسب الراعى قبل الرعية.

وفي الخطبة بعض المبالغات التى تشبه طلقات التهديد التى تخيف ولا تصيب، وترعب ولا تؤذى، وماذا يقول مثله لأقوام ضاع الحق بينهم، وفشت الرذيلة فيهم، وقد حضر إليهم والفسق كثير فاش ظاهر فيهم؟ وماذا يقول حتى يهددهم ويردعهم عما هم فيه من غي وضلال؟

إننا لو تأملنا النص سنجد أن العبارات التى يحمل نفسه فيها الأمانة الصادقة، وينوء بعبء المسؤولية الكاملة تحتل قدرا كبيرا من الخطبة يكاد يستغرقها كلها، وبخاصة الفقرة الثانية والثالثة.

إن مبادئ زياد بن أبيه التي أقرها في خطبته تتمثل في القوانين الآتية:

- لين في غير ضعف، وشدة في غير جبرية وعنف.
- الصدق والبعد عن مواقف الكذب.
- العقوبة الصارمة والضرب علي أيدى العصاة.

- عدم الخروج علي الجماعة.
- كف الأيدى واللسان عن إيذاء الحكم.
- الحرص على المصلحة الجماعية والبعد عن النوازع الفردية.
- السمع والطاعة من الرعية وعدالة الحاكم.
- مناصحة الرعية للحكام.
- عدم إهمال الاحتجاب عن الطالبين في أى وقت.
- عدم إهمال الجانب العسكرى.
- صلاح الرعية مقياس صلاحية الراعي.

ثالثا: الحجاج بن يوسف الثقفي[1]:

أ – نص خطبته:

قال عبد الملك بن عمير: بينا نحن جلوس في المسجد الأعظم بالكوفة إذا أتانا آت فقال: هذا الحجاج بن يوسف، قد قدم أميراً على العراق فاشرأب نحوه الناس، وأفرجوا له إفراجة عن صحن المسجد، فإذا نحن به يتبهنس في مشيته، عليه عمامة خز حمراء، منتكباً قوساً عربية، يؤم المنبر، فما زلت أرمقه ببصري حتى صعد المنبر، فجلس عليه، وما يحدر اللثام عن وجهه، وأهل

[1] – أبو مُحَمَّد الحجاج بن يوسف الثقفي (40 – 95 هـ = 660 – 714 م)، قائد في العهد الأموي، وُلِدَ ونَشأَ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قَلَّدَه عبد الملك أمر عسكره. أمره عبد الملك بقِتالِ عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيشٍ كبيرٍ وقتل عبد الله وفرَّق جموعه، فولاَّه عبدُ الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى الكوفة في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة. بنى مدينة واسط ومات بها، وأجري على قبره الماء، فاندرس. وكان سَفَّاكاً سَفَّاحاً مُرْعِباً باتِّفاقِ مُعْظَمِ المؤَرِّخِين. عُرف بالمبير أي المبيد. (الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص: 346)

الكوفة حينئذ لهم حال حسنة، وهيئة جميلة، وعز ومتعة، يدخل الرجل منهم المسجد ومعه عشرة أو عشرون من مواليه، عليهم الخزور والفوهية، وفي المسجد رجل يقال له: عمير بن ضابئ البرجمي، فقال: لمحمد بن عمر التميمي، هل لك أن أحصبه؟ قال: لا حتى أسمع كلامه، فقال: لعن الله بني أمية! يستعملون علينا مثل هذا، ولقد ضيع العراق حين يكون مثل هذا أميراً عليه، والله لو كان هذا كله كلاماً ما كان شيئاً، والحجاج ينظر يمنة ويسرة، حتى غص المسجد بأهله، فقال: يا أهل العراق! إني لا أعرف قدر اجتماعكم إلا اجتمعتم، قال رجل: نعم– أصلحك الله– فسكت هنيهة لا يتكلم، فقالوا: ما يمنعه من الكلام إلا العي والحصر، فقام فحدر لثامه، وقال: يا أهل العراق! أنا الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود.

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني أما و الله فإني لأحمل الشر بثقله و أحذوه بنعله و أجزيه بمثله، والله يا أهل العراق إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، والله لكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى. ثم قال: والله يا أهل العراق، إن أمير المؤمنين عبد الملك نثل كنانة بين يديه، فعجم عيدانها عوداً عوداً، فوجدني أمرّها عوداً، وأشدها مكساً، فوجهني إليكم، ورماكم بي. يا أهل العراق، يا أهل النفاق والشقاق ومساوئ الأخلاق، إنكم طالما أوضعتم في الفتنة، واضطجعتم في مناخ الضلال، وسننتم سنن العي، وأيم الله لألحونكم لحو العود، ولأقرعنكم قرع المروة، ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، إني والله لا أحلق إلا فريت، ولا أعد إلا وفيت، إياي وهذه الزرافات، وقال وما يقول، وكان وما يكون، وما أنتم وذاك؟. يا أهل العراق! إنما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرتم بأنعم الله، فأتاها وعيد القرى من ربها، فاستوسقوا واعتدلوا، ولا تميلوا، واسمعوا وأطيعوا، وشايعوا وبايعوا، واعلموا أنه ليس مني الإكثار والإبذار والأهذار، ولا مع ذلك النفار والفرار، إنما هو انتضاء هذا السيف، ثم لا يغمد في الشتاء والصيف، حتى يذل الله لأمير المؤمنين صعبكم، ويقيم له أودكم، وصغركم، ثم إني وجدت الصدق من البر، ووجدت البر في الجنة، ووجدت الكذب من الفجور، ووجدت الفجور في

النار، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وإشخاصكم لمجاهدة عدوكم وعدو أمير المؤمنين، وقد أمرت لكم بذلك، وأجلتكم ثلاثة أيام، وأعطيت الله عهداً يؤاخذني به، ويستوفيه مني، لئن تخلف منكم بعد قبض عطائه أحد لأضربن عنقه. ولينهبن ماله. ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يا أهل الشام! أنتم البطانة والعشيرة، والله لريحكم أطيب من ريح المسك الأزفر، وإنما أنتم كما قال الله تعالى: "ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء" والتفت إلى أهل العراق فقال: لريحكم أنتن من ريح الأبخر، وإنما أنتم كما قال الله تعالى: "ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار". اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام: فقال القارئ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله، فسكتوا فقال الحجاج من فوق المنبر: "أسكت يا غلام"، فسكت، فقال:" يا أهل الشقاق، ويا أهل النفاق ومساوئ الأخلاق. يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون السلام؟ هذا أدب ابن أبيه؟ والله لئن بقيت لكم لأؤدبنكم أدباً سوى أدب ابن أبيه، ولتستقيمن لي أو لأجعلن لكل امرئ منكم في جسده وفي نفسه شغلاً، اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام"، فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فلما بلغ إلى موضع السلام صاحوا وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته، فأنهاه ودخل قصر الإمارة .[1]

ب – تحليل الخطبة:

هذه الخطبة جاءت بعد أن ولى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق، ليعيد الى العراق أمنه ويدخل اهله في طاعة الخليفة بعد أن كثر فيهم التمرد والعصيان ذلك ان اغلبهم كانوا من الشيعة، ولم يستفتح الحجاج في هذه الخطبة ولم يستهل وإنما اقتحمها اقتحاما لكي لا يستسغره المخاطبون ولا يطمع احد في رحمته وقد بالغ الحجاج في احتقار مخاطبيه و نعتهم بقبيح الالفاظ في كبرياء وعن جهة منقطعة النظير، وعليه أن يختار من وحدات اللغة ما يدل على هذا المنحى من الغلظة و الشدة والقسوة حتى يلين له أهل العراق ويتحقق له منهم الولاء والطاعة والناظر

[1]– أحمد زكي، صفوت؛ جمهرة خطب العرب ، الطبعة الاولى ،المكتبة العلمية بيروت لبنان ج2، ص : 288.

في هذه الخطبة يعلم أن عنصر الاقناع لديه لا يقوم على الأدلة والبراهين التي تقيم الحجة على المتلقي فحسب، بل يعمد إلى توظيف ملكته اللغوية والتمثيل لها بالخيال اللغوي والصور البيانية التي تشد المخاطب و تحشره في ثنايا النص و أكثر من السجع على منوال من سبقه من الخطباء الافذاذ، و استعمل من الالفاظ اقواها و اقدرها على تأدية المعنى وتجليته في أكثر ما يكون عليه الخطيب من إدعاء القوة والغطرسة وترهيب الناس من خلال استعمال الاصوات المدوية كالعين و القاف والمدود وكأنه بذلك يعلن حرباً ويسير جيشاً من الحروف مشيرا الى بدء المعركة ، واستعمل اسلوب الترهيب من جهة و الترغيب من جهة اخرى و هو اسلوب قرآني ، كذلك نجد استدلاله بالقرآن و ايراده بعض الآيات صريحة وأخرى من خلال معانيها من اجل تدعيم حجته و خلق فضاء مشترك بينه و بين مخاطبيه .

رابعا: خطبة عمر بن عبد العزيز[1]:

أ – نص الخطبة:

خطب عمر بن عبد العزيز الناس فقال : **أيها الناس لا يطولن عليكم الامد ولا يبعظن عليكم يوم القيامة ، فإن من وافته منيته فقد قامت قيامته ، ولا يستعتب من شيء ، ولا يزيد في حسن ، الا لا سلامة لامرئ في خلاف السنة ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله ، الا و انكم تعدون**

[1] – أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (61هـ\681م – 101هـ\720م)، هو ثامن الخلفاء الأمويين، عمر الثاني. ولد سنة 61 هـ في المدينة المنورة، ونشأ فيها عند أخواله من آل عمر بن الخطاب، فتأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة، وكان شديد الإقبال على طلب العلم. وفي سنة 87هـ، ولّاه الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، ثم ضم إليه ولاية الطائف سنة 91هـ، فصار واليًا على الحجاز كلها، ثم عُزل عنها وانتقل إلى دمشق. فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة قرّبه وجعله وزيرًا ومستشارًا له، ثم جعله ولي عهده، فلما مات سليمان سنة 99هـ فتولى عمر الخلافة.

تميزت خلافة عمر بن عبد العزيز بعدد من المميزات، منها: العدلُ والمساواة، وردُّ المظالم التي كان أسلافه من بني أمية قد ارتكبوها، وعزلُ جميع الولاة الظالمين ومعاقبتُهم، كما أعاد العمل بالشورى، ولذلك عدّه كثير من العلماء خامس الخلفاء الراشدين، كما اهتم بالعلوم الشرعية، وأمر بتدوين الحديث النبوي الشريف. استمرت خلافة عمر سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، حتى قُتل مسمومًا سنة 101هـ، فتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة من بعده. (شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبعة الثانية، 1402هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج5 ص144)

الهارب من ظلم امامه عاصيا ، الا وان اولاهما بالمعصية الامام الظالم الا و اني اعلاج امرا لا يعين عليه الا الله ، قد فني علي الكبير ، و كبر عليه الصغير ، و افصح عليه الاعجمي ، وهاجر عليه الاعرابي، حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره . ثم قال : إنه لحبيب الي أن أوفر أموالكم و أعراضكم الى بحقها . ولا قوة الا بالله.[1]

ب – تحليل الخطبة: في هذه الخطبة يظهر لنا زهد عمر بن عبد العزيزفي الخلافة والملك بل في الدنيا كلها ، و غرض الخط بة في الوعظ يذكر الناس بالآخرة ، فيذكر في معجم ديني مجموعة المصطلحات المتعلقة به من المنية و القيام و الهلاك و السلامة و الطاعة و المعصية ، و عن الملك و الخلافة تكلم مبرزا جانبا من الحاكم العادل و معاملته اللينة مع الناس و محاولة استمالتهم الى جانبه من خلال إشراكهم فيما يعالجه من أحزان ما أصابه من جراء الخلافة التي لم يكن يريدها و يحاول دفعها عنه دفعا ولكنها واقعة به لا تريد غيره ولذلك أراد سياستها بالعدل والتواضع وإقامة دين الله والإحسان إلى الرعية من خلال ما يؤظيه اليهم من حقوقهم كاملة في أتم ما يكون عليه العدل ويجليه في آخر خطبة وأورد ذلك كله من غير إطناب ولا حشو ولا تكلف ولا استجداء لغريب الافاظ ولا تقعر في الكلام و لا استعلاء في المقام بل أخرجها باسلوب سهل واضح يدركه عوام الناس وخواصهم وهذا على غير عادة بني امية خاصة ما تعلق بامر الملك فيهم فانهم لا يخطبون خطب الوعظ.

خامسا: خطبة طارق بن زياد[2]**:**

أ – نص الخطبة:

---

[1] – أحمد زكي ، صفوت؛ جمهرة خطب العرب ج2، ص: 347.

[2] – هو طارقُ بن زياد، فاتحُ الأنْدَلُسِ. ولد سنةَ 50هـ، أصلُه من البربر، أَسلم على يد موسى بن نُصَيْرٍ ، فكان من أشدِّ رجاله، ولما تم لِموسى فتح طَنْجَةَ ولّى عليها طارقاً سنة 89هـ، فأقام فيها إلى أوائل سنة 92هـ، فجهّز موسى جيشاً قدره سبعة آلاف جنديّ معظمهم من البربر لغَزْو الأندلس وفتحِها، وولّى طارقا قيادتهم، فنزل بهم البحر واستولى على الجبل (جبل طارق) وفتح حصن "قَرْطَاجَنَةَ" ولما علم طارق بقدوم جيشٍ للأعداء كبيرٍ يقوده الملك "لُذَرِيقُ " طلب من موسى تعزيزا فأرسل له خمسةَ آلاف جندي، فأعدَّ طارق جيشه وألقى خطبته المشهورة وحارب الملك "لذريقَ" فقتله، ثم تَغَلْغَلَ في أرض الأندلس وافتتح "إشْبِيلِيَةَ" و"إستجَةَ" وأرسل من استولى على "قُرْطُبَةَ" و"مَالَقَةَ"، ثم فتح "طُلَيْطَلَةَ" عاصِمةَ الأندلس. تُوُفِّي طارقٌ بن زيادٍ سنة 102هـ.

قام طارق بن زياد خطيباً في أصحابه، فحَمِدَ الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حثّ المسلمين على الجهاد ورَغَّبهم ثم قال: **أيها الناس، أين المَفَرُّ؟ البحرُ من ورائكم، والعدوُّ أمامَكم وليس لكم واللَّهِ إلا الصدقُ والصَبْرُ. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أَضْيَعُ من الأيتام في مَأْدُبَةِ اللِّئام، وقد اسْتَقْبَلَكم عدوّكم بِجَيْشِهِ وأَسْلِحَتِهِ، وأَقْواتُه موفورةٌ ، وأنتم لا وَزَرَ لكم إلا سيوفُكم ولا أقواتَ إلا ما تَسْتَخْلِصُونَه من أيدِي عدوِّكم، وإِن امْتَدّتْ بكم الأيامُ على افتقارِكم ولم تُنْجِزوا لكم أمراً ذهبتْ رِيحُكم، وتَعَوّضَتِ القلوبُ من رُعْبِها منكم الجَرَاءَةَ عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خُذْلانَ هذه العاقبة من أمركم بِمُنَاجَزَةِ هذا الطاغية**[1].

ب – تحليل الخطبة:

لما توسعت الفتوحات الدولة الإسلامية غربا، في عهد بني أمية أرسل والي القيروان موسى بن نصير قائدا بربريا كان قد أسلم على يديه لفتح الأندلس يقال له طارق بن زياد ،فعبر البحر الأبيض المتوسط ،وفي شجاعة منقطعة النظير أحرق سفنه وخطب في جنده لمادنا منه جيش ردريق بعد أن حمد الله وأثنى عليه ،وتلك عادة الأولين في الاستفتاح ،لدى القادة المسلمين ،ثم ارتجل فقال أيها الناس وهو أسلوب من الأساليب الإنشائية للتنبيه والنداء وإشارة لبدء الخطبة، ثم استفهم ولم يكن يريد إجابة لسؤاله وذلك من تجاهل العارف مخاطبا العقل في أصحابه ،كتمهيد للبرهان الخطابي أي أنه لا مفر لكم وإن أردتم فرارا حتى يثبتوا ويدافعوا عن أنفسهم بكل ما أوتوا ،ثم يؤكد عن طريق القسم في قوله:(وليس لكم والله إلا الصدق والصبر)وهو أسلوب من أساليب التوكيد ثم يبرهن على صحة كلامه قائلا: (البحر من ورائكم والعدو من أمامكم)و يخاطب القلوب والنفوس المسلمة وهو معجم ذو دلالة دينية إسلامية ثم يسترسل في أسلوب إنشائي جميل ،موظفا التشبيهات والصور المعبرة ،(أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام)ويعود مرة أخرى للبرهان الخطابي يستجدي عزيمة أصحابه، ويستنهض هممهم ، (وقد استقبلكم عدوكم بأقواته موفورة...ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم)وهذا بعض من خطته الحربية مضمنة في الخطبة ،ثم ينظر ويفترض ،

[1] – رامي، منبر؛ الخطابة عند العرب، ص: 76.

ويقدر عواقب الأمور، في قوله (إنكم إن امتدت بكم الأيام...)وتتجلى في هذه الخطبة رباطة جأش الخطيب، ومعرفته الجيدة بأصحابه، وبلوغه بكلامه العقول تارة والقلوب تارة أخرى في تناسق وانسجام بلا تكرار ولاعي ولا تخاذل، بل أكمل خطبته كما ابتدأها بقوة الخطيب المفوه، وألفها من مقاطع مسجوعة تخللها الطباق والزخارف اللفظية، ما يظهر قدرته الأدبية أما عن الأصوات فنجد فيها تكرار الحروف القوية المدوية على سبيل بدء المعركة وحروف مثل الميم والنون على سبيل الإفهام والتوضيح.

سادسا: سحبان وائل[1]:

أ – نص الخطبة:

إنَّ الدنيا دار بلاغٍ، والآخرة دار قرارٍ، أيُّها الناس فخُذوا من دار ممرِّكم لدار مقرِّكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسرارُكم، وأخرجوا من الدنيا قلوبَكم قبل أن تخرج منها أبدانُكم، ففيها حَييتم، ولغيرها خُلقتم، إنَّ الرجل إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدَّم؟ قدِّموا بعضًا يكون لكم، ولا تخلِّفوا كلًّا يكون عليكم[2].

[1] – هو وائل بن معد بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار، المعروف بسحبان وائل، كان خطيبًا بليغًا في الجاهلية، دخل الإسلام. وأورده ابن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة ضمن قسم المخضرمين الذين أسلموا في زمن النبي ولم يجتمعوا به.

في عهد معاوية بن أبي سفيان، قدم عليه في وفد من خراسان؛ فيهم سعيد بن عثمان بن عفان، طلب منه معاوية أن يخطب، فتكلم منذ صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر، ما تنحنح، ولا سعل، ولا توقف، ولا ابتدأ في معنى، فما زالت تلك حاله حتى أشار معاوية بيده؛ فأشار إليه سحبان أن لا تقطع كلامي، فقال معاوية: الصلاة، قال: هي أمامك: نحن في صلاة وتحميد، ووعد ووعيد، فقال معاوية: «أنت أخطب العرب»، فقال سحبان: «والعجم والجن والإنس». توفي سنة 54 هـ في عهد معاوية. وذكره ابن كثير الدمشقي في وفيات سنة 55 هـ.(سحبان بن زفر بن إياس، البداية والنهاية، الجزء الثامن، ص: أ، ب.)

[2] – أحمد زكي، صفوت؛ جمهرة خطب العرب ج2، ص: 482.

ب – تحليل الخطبة:

صاحب هذه الخطبة هو سحبان بن زفر الوائلي، وقد ضرب به المثل في الفصاحة والبيان، فقيل: أخطب من سحبان ومع ذلك لم يؤثر عنه الكثير ، و مناسبة الخطبة الموجزة وهي قليل من كثير يذكر أنه قدم على معاوية وفد من خراسان ،وفيهم سعيد بن عثمان بن عفان ،فطلب سحبان ،فلم يوجد في منزله ،فاقتضب من ناحية اقتضابا ،وأدخل عليه وطلب العصا ليخطب عليها ،ثم تكلم من صلاة الظهر إلا صلاة العصر ،فما تنحنح ولا سعل ولا أعاد كلمة ولا دخل في معنى حتى يتمه ،فمازالت تلك حالته ،حتى أشار إليه معاوية ،بأن حسبك، فأشار إليه سحبان أن لا تقطع كلامي فقال معاوية :الصلاة قال :هي أمامك نحن في صلاة وتحميد ،ووعد ووعيد فقال معاوية: أنت أخطب العرب فرد عليه :والعجم والجن والإنس ،ولعل هذه الإطالة هي التي أعاقت الرواة عن حفظ ما يقول

وبدأ هذه الخطبة بإن للتوكيد ونادي أيها الناس لشد الانتباه أفعال الأمر للنصح ،فالخطبة تندرج في غرض الوعظ والإرشاد والزهد وأتبعه بنهي متعدد في ازدواجية إنشائية راقية ،تتناسب ومقتضى حال الخطبة ،وبلاغة وافية ،مع عبارة قصيرة كافية ،وجزالة المعاني ودقتها، وتكثيف لظروف الزمان والمكان للوصف ،وكذلك الاستفهام لإشراك الأفهام، في مراد الكلام.

خاتمة

في ختام هذه الدراسة، ينبغي أن نلخص ما قدمناه، بعد أن تعرضنا للخطابة اليونانية، والرومانية، والعربية الإسلامية، وصولا إلى عهد بني أمية حيث وجدنا أن الخطابة العربية كانت في ذروة مجدها، وعلى أحسن حال ،وأجود مثال، حيث شهدت الخطابة في هذا العهد نموا وازدهارا طبيعيا كان منبته مع فجر الإسلام ذلك أن أول الإسلام كان نهضة عامة شاملة، في الدين والسياسة والاجتماع مما انعكس بالإيجاب على الخطابة، وأخطب المسلمين على الإطلاق مُحَمَّد ﷺ ، وأصبح نموذجا يحتذى، بفعل الأسلوب الكامل للوحيين لكل خطباء المسلمين من بعده، كما اتضح لنا من خلال هذه الدراسة أن قيام الطوائف الدينية، والمذاهب السياسية، والحضارة والفتوح، كان لها الدور الظاهر، والأثر البارز في ذيوع هذا الجنس الأدبي، وكثافة مادته، وتطوره على المستوى الفني والأسلوبي، وقد بدا من نتائج هذا البحث أن فن الخطابة، ظاهرة أدبية تضاهي الشعر، وقد تفوقه من خلال ما تحوزه من بلاغة، بلاغة وبيان، وبديع، ومن هذا العهد عرضنا على سبيل الإيضاح والنمذجة بعض الخطب والخطباء من عدة طبقات (الخلفاء، الأمراء، الولاة والعامة)

وحاولنا إعطاء النصوص حقها، في الدراسة والتحليل، والتعليق وإلقاء الأضواء على شخصياته، لنتوصل بذلك إلى معرفة ما كانت عليه الخطابة في هذا العهد، والعصر الإسلامي عموما، وكلي رجاء أن يتاح للباحثين فضل من القدرة على البحث، والوصول إلى ما هو خير، والحمد لله أولا وآخرا، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، فمنه الهداية والرشاد ،والتأييد والسداد ،والصلاة والسلام على خير العباد ،وعلى آله وصحابته الأسياد ،إلى يوم المعاد.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم رواية ورش عن نافع.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.1 ، 2004م لسان العرب ، مادة (خ ط ب).
2) أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمان، الجرجاني؛ الرسالة الشافية، ضمن كتاب: ثلاث رسائل في دلائل الإعجاز.
3) أبي القاسم بن عمرو، الزمخشري؛ أساس البلاغة، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1996م.
4) بطرس، البستاني؛ محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، 1998م.. ابن كثير ، البداية والنهاية ،مكتبة المعارف بيروت، 1992م،ج8.
5) الجاحظ، البيان والتبيين تح: عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي مصر – القاهرة – 1998م، ط: 07، ج2.
6) شمس الدين، مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبعة الثانية، 1402هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

المراجع:

1) أحمد زكي، صفوت؛ جمهرة خطب العرب، الطبعة الأولى، المكتبة العلمية بيروت لبنان ج2.
2) أحمد، مُحَمَّد الحوفي؛ فن الخطابة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع 2003/01/01م.
3) أرسطو؛ الخطابة، تر: عبدالقادر قنيني، حقوق الطبع محفوظة للناشر، أفريقيا الشرق، المغرب – الدار البيضاء– 2008م.
4) حسين، علي الهنداوي؛ أشكال الخطاب النثري في العصر الأموي. "دون بيانات"

5) سامي، يوسف أبو زيد؛ الأدب العباسي النثر، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2011م.
6) السيد أحمد، الهاشمي ،جواهر الأدب ج2 ط السابعة والعشرون المكتبة التجارية الكبرى – مصر - 1969م
7) عبدالكريم؛ إبراهيم دوجان، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني هجري،ط:1، ـ القاهرة ـ 2005م.
8) عزة، شبل؛ علم لغة النص، النظرية والتطبيق المقامات اللزومية للسرقسطي، مكتبة الآداب، مصر، (دط) ، 1999م.
9) مُحَمَّد طاهر؛ درويش، الخطابة في صدر الإسلام، دار المعارف – مصر – ط:2، ج:1.
10) مُحَمَّد عبدالمنعم؛ خفاجي، الحياة الأدبية في عصر بني أمية، دار الكتاب اللبناني – بيروت- ط2، سنة 1980م.
11) مُحَمَّد، أبو زهرة؛ الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، 2012م.
12) محمود شاكر، أبو فهر، العهد الأموي، المكتب الإسلامي، ط: 7، 2000م.
13) منير، رامي؛ الخطابة عند العربن دار الفكر العربي، بيروت – لبنان – ط1 سنة2005م.

المجلات والدوريات:

1) سعد، مصلوح؛ نحو أجرومية للنص الشعري قراءة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مج 10، العدد 1، أوت 1991م.
2) عبد الكريم، البوغبيش؛ تطور الخطابة الإسلامية"، مقال، موقع ديوان العرب.05-10-2010، أُطلع عليه يوم الأحد 03- 07- 2022 على الساعة: 04:41 صباحا. https://www.diwanalarab.com

3) لخضر، غزال؛ جمالية السبك النصي في فن الخطابة العربية، مجلة الإشكالات في اللغة العربية، مج 2، العدد 8، جامعة أحمد دراية، – أدرار – الجزائر، 2019م.

4) لعاني غانية، بلاغة النثر في العصر الأموي.مذكرة ماجيستير، إشراف عبدالقادر سكران، جامعة أحمد بن بلة 1 ، وهران، الجزائر، 2015م.

5) عيسى، متقى زاده؛ فن الخطابة في ضوء الحياة الاجتماعية في العصر الأموي. رسالة ماجيستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تربيت، إيران، طهران.

6) مُحَمَّد أحمد، ضاعن الخوالدة؛ تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي، أطروحة ماجيستير، إشراف غسان إسماعيل عبد الخالق، كلية الآداب والفنون، جامعة فيلاديفيا، الأردن، 2016م.

7) وسيلة، مرجاجو ونزة عواس؛ الخطابة في العصر الأموي دراسة فنية وفكرية مذكرة ماستر، قسم اللغة والأدب العربي جامعة أم البواقي، 2017م.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
بسملة	
إهداء	
الشكر والتقدير	
مقدمة	أ–ب–ج
مدخل	04
1 – الخطابة	05
1 – 1 الخطابة لغة	06–05
1 – 2 الخطابة اصطلاحا	07–06
1 – 3 تعريف الخطيب	08–07
2 – الخطب المنبرية في عهد بني أمية	09–08
الفصل الأول	10
1 – تاريخ الخطابة وتطورها	14–11
2 – بلاغة الخطابة	17–14
3 – أسلوب الخطابة	24–17
4 – موضوعات الخطابة	27–24
الفصل الثاني	28
1 – فن الخطابة في العهد الأموي	30–29
2 – عوامل ازدهار الخطابة في العهد الأموي	31–30
3 – أنواع الخطابة في العهد الأموي	32–31
4 – السمات البديعية في الخطابة الأموية	34–32
5 – الأساليب الخطابية في العهد الأموي	35–34

6 – صور التناص في الخطابة الأموية	36–35
7 – الصور الفنية في الخطابة الأموية	37–36
8 – أشهر الخطباء في العهد الأموي	37
8–1 تحليل خطبة معاوية بن أبي سفيان.	39–37
8–2 تحليل خطبة زياد بن أبيه.	45–40
8–3 تحليل خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي.	48–45
8–4 تحليل خطبة عمر بن عبدالعزيز.	49–48
8–5 تحليل خطبة طارق بن زياد,	51–49
8–6 تحليل خطبة سحبان وائل.	52–51
خاتمة	54–53
المصادر والمراجع	58–55
فهرس الموضوعات	61–59
ملخص	63–62

ملخص

عنوان المذكرة:

الخطابة في العصر الإسلامي – الخطب المنبرية في عهد بني أمية – أنموذجا

الإسم واللقب: فتحي لكحل **المؤطر:** عبدالقادر بلغربي

ملخص: اهتمت هذه الدراسة المعنونة بـ الخطابة في العصر الإسلامي – الخطب المنبرية في عهد بني أمية – إلى تتبع تطور هذا الفن النثري عبر العصور، بدءا بنشأتها عند اليونان مرورا بالرومان، فالعصر الجاهلي عند العرب ثم العصر الإسلامي فالعهد الأموي تطبيقا على بعض الخطب المختارة من العهد الأموي ومحاولة معرفة كيف كانت هذه الخطب في هاته الفترة.

كلمات مفتاحية: الخطابة، العصر الإسلامي، العهد الأموي، موضوعات الخطابة، تاريخ الخطابة وتطورها.

Titre de la note:

La rhétorique à l'ère islamique - Les sermons minbar à l'époque des Bani Umayyah - un modèle

Nom : fathi

nom de famille: lakhal

Superviseur :D. Abdelkader Belgarbi

Résumé de l'étude:

Résumé : Cette étude, intitulée « La rhétorique à l'époque islamique – Les sermons minbar à l'époque des Omeyyades » s'est attachée à retracer le développement de cet art de la prose à travers les âges, en commençant par son origine en Grèce, en passant par les Romains, les pré -L'ère islamique chez les Arabes, puis l'ère islamique et l'ère omeyyade en application à certains des discours sélectionnés de l'ère omeyyade et en essayant de découvrir comment ces sermons étaient à cette période.

Mots clés : rhétorique, époque islamique, époque omeyyade, thèmes rhétoriques, histoire et évolution de la rhétorique.

---

the title of note :

Rhetoric in the Islamic Era - Minbar sermons in the era of Bani Umayyah - a model

Name and surname: Fathi Lakhal Supervisor: Abdelkader Belgarbi

Abstract: This study, entitled "Rhetoric in the Islamic Era – Minbar sermons in the era of the Umayyads" was concerned with tracing the development of this prose art through the ages, starting with its origin in Greece, passing through the Romans, the pre-Islamic era among the Arabs, then the Islamic era, and the Umayyad era in application to some of the selected speeches from The Umayyad era and trying to find out how these sermons were in this period.

Keywords: rhetoric, the Islamic era, the Umayyad era, rhetoric topics, the history and development of rhetoric.